فوائـــــد علـى القـواعـــــــد الأربـــــــع

للشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله

كتبه أبو عبد الله ياسين مبارك



المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فإن الله أمر جميع العباد بتوحيده وإفراده بالعبادة وأعلمهم سبحانه أنه لا يقبل أي عمل منهم بدون توحيده وحذرهم تبارك وتعالى من الشرك.

قال تعالى : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)** } سورة البقرة

وقال تعالى : { **وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (88)** } سورة الأنعام

وقال تعالى: {**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65)** } سورة الزمر

ولما كان التوحيد بهذه المنزلة العظيمة والشرك بهذه الخطورة صنف العلماء المختصرات والمطولات لبيان هذا الأمر بيانا شافيا وإن من أنفع هذه المصنفات القواعد الأربع لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – وذلك لما اشتملت عليه من المسائل المهمة في أبواب العقيدة حيث جمع فيها الشيخ قواعد في تقرير التوحيد وتبيينه وإيضاحه وقواعد أيضا في كشف الشرك وإبطاله وبيان خطورته.

ولأهمية هذه القواعد وعميم نفعها فقد وضعت عليها بعض الفوائد ولم يكن لي فيها من الجهد سوى الجمع والترتيب إسهاما في تسهيل الاستفادة منها.

أسأل الله الكريم أن يمن علينا بالقبول وأن يجعل سعينا فيما يرضيه إنه سميع مجيب.

إن وجدت العيب فسد الخللا ....وجل من لا عيب فيه وعلا

كتبه أبو عبد الله ياسين مبارك

يوم الخميس 13 محرم 1441/ مدينة دار الشيوخ / الجزائر

فوائد تحت العنوان :

فائدة : مضمون هذه القواعد متعلق بتصحيح الاعتقاد.

ومعرفة حقيقة التوحيد.

ومعرفة حقيقة الشرك.

ومعرفة حال المشركين وحال الموحدين ويتميز بها دين المسلمين عن دين المشركين.

لأن كثيرا من الناس يتخبطون في هذين الأمرين :

يتخبطون في معنى التوحيد ما هو ؟ ويتخبطون في معنى الشرك كل يفسرهما على حسب هواه.

ويمكن إجمال غاية هذه القواعد في :

- معرفة الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.
- ومعرفة حال المشركين الذين بعث فيهم.
- وفي معرفتها وقاية من الوقوع في الشرك.

فمن عرف هذه القواعد وفهمها سهل عليه معرفة التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه وأيضا سهل عليه معرفة الشرك الذي حذر الله منه وبين خطره وضرره في الدنيا والآخرة.

فائدة : وهذه القواعد التي ذكرها الشيخ مبناها على الكتاب والسنة فهو لم يذكرها من عند نفسه أو من فكره كما يفعل كثير من أهل البدع والأهواء.

وهذا ما يتميز به الشيخ فإنه دائما إذا قعد قاعدة أو قرر تقريرا بين وجه الاحتجاج به من الكتاب أو السنة أو أقوال الأئمة.

فائدة : القواعد جمع قاعدة وهي في اللغة :

على وزن فاعلة من قعد والقعود يضاهي الجلوس وهو نقيض القيام على أن بعض أهل

اللغة يفرقون بين الجلوس والقعود من حيث أن القعود يكون من القيام والجلوس من الضجعة ومن السجود.

وذكر بعض أهل اللغة أن القعود من ألفاظ الأضداد يقال : قعد إذا قام ويقال : قعد إذا جلس.

وهي : أساس الشيء وأصوله حسيا كان ذلك الشيء كقواعد البيت أو معنويا : كقواعد الدين أي دعائمه.

واصطلاحا : هي أمر كلي أو قضية كلية يندرج تحتها مسائل كثيرة.

وقد يكون المراد بالقاعدة هنا أعم من اطلاق الفقهاء فهي ألصق بمعناها اللغوي فكأن كل قاعدة من هذه الأربع تعد أساسا من أسس الدين وأصلا من أصوله.

بسم الله الرحمن الرحيم

من الفوائد تحت البسملة :

فائدة : استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة وكذا معظم كتب الرسائل.

واختلفوا فيما إذا كان الكتاب كله شعرا فجاء عن الشعبي منع ذلك وعن الزهري قال مضت السنة أن لا يكتب في الشعر بسم الله الرحمن الرحيم وعن سعيد بن جبير جواز ذلك وتابعه على ذلك الجمهور وقال الخطيب هو المختار.

وقال بعضهم فإن كان الكتاب مشتملا على شعر هجاء أو سب وشتم أو كلام قبيح فإنه لا تكتب البسملة.

أما إن كان مشتملا على شعر نزيه فلا حرج في كتابتها.

فائدة : افتتح المصنف رحمه الله كتابه بالبسملة :

- اقتداء بالقرآن الكريم.
- والبداءة بها سنة فقد كان النبي صلي الله عليه وسلم يكتبها في مراسلاته للملوك وغيرهم.

وكما كتبها سليمان عليه السلام فيما ذكر الله عنه لما كتب إلى بلقيس ملكة سبأ وقرأت الكتاب على قومها { **قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31)** } سورة النمل

- وتبركا بهذه الكلمة العظيمة وافتتاحا للأمور بها.

فائدة : قال بعض العلماء : إن {**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**} تضمنت جميع الشرع لأنها تدل على الذات وعلى الصفات.

فائدة : يقال لمن قال بسم الله : مبسمل وهي لغة مولدة.

والمشهور عن أهل اللغة بسمل.

فائدة : ندب الشرع إلى ذكر البسملة في أول كل فعل كالأكل والشرب والنحر والجماع والطهارة وركوب البحر إلى غير ذلك من الأفعال.

قال تعالى : { **فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (118)**} سورة الأنعام

{**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا... (41)** } سورة هود

فائدة : هل هي جملة اسمية أم فعلية ؟ ومنشأ خلافهم اختلافهم في التقدير: هل يقدرون اسما أم فعلا ؟

- قيل : هي جملة فعلية وهو الراجح.
- وقيل : اسمية.

فائدة : باء باسم :

- قيل أنها للملابسة أي المصاحبة وهو قول المعتزلة.
- وقيل : للاستعانة فيكون التقدير : بسم الله أؤلف حال كوني مستعينا بذكره متبركا به.
- وقيل أنها زائدة وهي تسمى :
  - ✓ باء التضمين.
  - ✓ أو باء الإلصاق كقولك : كتبت بالقلم فالكتابة لاصقة بالقلم.[1]

فائدة : وهي مكسورة أبدا والعلة في ذلك:

- قيل : أن الباء حرف ناقص ممال.
- وقيل : العلة في كسرها ردها إلى الأصل.

فائدة : واختلف في تخصيص باء الجر بالكسر على ثلاثة معان :

- فقيل : ليناسب لفظها عملها.

---

(1) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ص 93

- وقيل : لما كانت الباء لا تدخل إلا على الأسماء خصت بالخفض الذي لا يكون إلا في الأسماء.
- الثالث : ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسما نحو الكاف في قول الشاعر:

ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا

أي بمثل ابن الماء أو ما كان مثله. [1]

فائدة : اختلف في سبب سقوط الألف وتطويل الباء :

- بسم أسقطت الألف لكثرة استعمالها وطولت الباء عوضا.
- قيل : إنما طولت الباء في بسم الله وأسقطت الألف طلبا للخفة.
- وقيل : لما أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء ليدل طولها على الألف المحذوفة وأثبتت الألف في قوله تعالى : { **فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** } لقلة استعماله.
- وقيل : إنما طولوا الباء لأنهم أرادوا أن يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم.
- وقيل : الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصل باسم الله ارتفع واستعلى.
- وقيل : إنما وقع ابتداء كتاب الله تعالى بالباء دون الألف لأن الألف تطاول وترفع والباء انكسار وتساقط ومن تواضع لله رفعه الله.

فائدة : لماذا قال بسم الله ولم يقل بالله ؟

وإنما قال (بسم الله) ولم يقل (بالله) وذلك للتفريق بين اليمين والتيمن يعني (التبرك) أو لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة فذكر الاسم لينقطع احتمال إرادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة أو التبرك.

فائدة : إذا كان المراد بالبسملة الاستعانة به تعالى فما فائدة إقحام الاسم بين الباء وبين لفظة الجلالة مع أن الاستعانة به لا بنفس الاسم ؟

(1) تفسير القرطبي 1/99-100

جوابه :

أن القصد به التعظيم والإجلال لذاته تعالى ومنه قوله تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) } و{ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78) }.[1]

فائدة : اختلفوا في معنى دخول الباء عليه فهل دخلت على معنى الأمر أو على معنى الخبر على قولين :

- أحدهما : دخلت على معنى الأمر وتقديره : ابدؤوا بسم الله الرحمن الرحيم وهذا قول الفراء.
- والثاني : على معنى الإخبار وتقديره : بدأت بسم الله الرحمن الرحيم وهذا قول الزجاج.

فائدة : الاسم لغة :

- إما مشتق من السمو وهو العلو.
- وإما مشتق من الوسم وهو العلامة.

فائدة : لحذف العامل في بسم الله فوائد عديدة :

- منها : أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه غير ذكر الله.
- ومنها : أن الفعل إذا حذف صح الابتداء بالبسملة في كل عمل وقول حركة فكان الحذف [2]

فائدة : الرحمن على وزن فعلان ومن معاني فعلان : الامتلاء والسعة أي فهو ذو الرحمة الواسعة.

فائدة : الرحيم على وزن فعيل بمعنى فاعل فهو دال على الفعل.

فائدة : الفرق بين الرحمن والرحيم :

(1) كشف المعاني في المتشابه من المثاني ص 27 المسألة رقم 1
(2) انظر بدائع الفوائد لابن القيم 43/1

1- الوجه الأول : من الناحية البلاغية :

الرحمن أكثر مبالغة من الرحيم.

2- الوجه الثاني : من ناحية التسمية بهما :

الرحمن اسم مختص بالله لا يجوز أن يسمى به غيره بخلاف الرحيم.

3- الوجه الثالث : في الفرق بين معنييهما :

الرحمن يدل على سعة رحمة الله والرحيم يدل على إيصالها للمخلوق.

فالرحمن ذو الرحمة الواسعة والرحيم ذو الرحمة الواصلة.

4- الوجه الرابع : أن اسم الله الرحمن يدل على الصفة الذاتية والرحيم يدل على الصفة الفعلية.

5- الوجه الخامس : أن الرحمن لا يأتي إلا معرفا بأل التعريف أو مضافا.

والرحيم قد يأتي غير معرف.

6- الوجه السادس : الرحمن يدل على الرحمة العامة والرحيم يدل على الرحمة الخاصة.

7- الوجه السابع : أن الرحمن مقدم على الرحيم في جميع الآيات.

فائدة : يقول ابن جماعة سائلا ومجيبا :لم اختصت البسملة بهذه الأسماء الثلاثة الله والرحمن والرحيم ؟

أما الأول : فلأنه اسم المعبود المستحق للعبادة دون غيره والموجد لعباده.

والثاني والثالث : تنبيه على المقتضي لسؤال الاستعانة به وهو سعة رحمته لعباده. [1]

فائدة : ويقول ابن القيم : وأما الجمع بين (الرحمن) و(الرحيم) ففيه معنى ... أن (الرحمن) دال على الصفة القائمة به و(الرحيم) دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف.

---

(1) كشف المعاني في المتشابه من المثاني ص 27 المسألة رقم 2

والثاني : للفعل فالأول دال على أن الرحمة صفته.

والثاني : دال على أنه يرحم خلقه برحمته. [1]

فائدة : أسباب تقديم الرحمن على الرحيم :

يقول ابن جزي : إنما قدم «الرحمن» لوجهين :

- اختصاصه بالله.
- وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات. [2]

ويقول ابن عاشور : وتقديم الرحمن على الرحيم لأن الصيغة الدالة على الاتصاف الذاتي أولى بالتقديم في التوصيف من الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها. [3]

وقال ابن جماعة : ما فائدة تقديم الرحمن على الرحيم ؟ .

جوابه : لما كانت رحمته في الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين : قدم الرحمن.

وفي الآخرة دائمة لأهل الجنة لا تنقطع قيل : الرحيم ثانيا.

ولذلك يقال : رحمن الدنيا ورحيم الآخرة. [4]

---

(1) بدائع الفوائد 42/1
(2) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي 43/1
(3) التحرير والتنوير 169/1
(4) كشف المعاني في المتشابه من المثاني ص 27 المسألة رقم 5

من الفوائد تحت مقدمة الشيخ :

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة وأن يجعلك مباركا أينما كنت وأن يجعلك ممن إذا أعطى شكر وإذا ابتلي صبر وإذ أذنب استغفر فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

فائدة : هذا من نصح الإمام أنه يعلمك ويدعو لك فهو يدل على اهتمام وحرص وعناية الشيخ بالقارئ والمتعلم والتمني له الخير وهذا الأسلوب من أعظم الوسائل لقبول الدعوة وهو أسلوب لا ينبغي الغفلة عنه.

وفيه : اقتداء الشيخ بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد كان عليه الصلاة والسلام في دعائه يثني على الله وينسب إليه أشرف مخلوقاته مثل قوله : اللهم رب جبرائيل وإسرافيل وميكائيل...

وفيه : توسل إلى الله بعظمته وربوبيته للعرش الذي هو أعلى المخلوقات وباسمه الكريم. وهذا من التوسل المشروع.

فائدة : اعلم أن التوسل ينقسم إلى :

توسل شرعي وتوسل بدعي.

فالتوسل الشرعي : هو ما كان ثابتا بالشرع بأن يدل عليه دليل من الكتاب أو السنة.

والتوسل البدعي : هو ما لم يدل عل جوازه دليل أو وجد الدليل ولكنه لم يثبت ووجد من الأدلة الثابتة ما يناقضه.

أنواع التوسل الشرعي وأدلته :

التوسل المشروع هو كل توسل دل على جوازه نص من الكتاب أو السنة.

وهذا التوسل لا يعلم إلا من طريق الشرع وهو أنواع :

- التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته.

ودليله قوله تعالى: { **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** .... (180) } سورة الأعراف

وقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو

علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك. [1]

ولا يناسب أنك تأتي باسم غير مناسب لحاجتك: فلا تقل: اللهم اغفر لي إنك شديد العقاب.

- التوسل إلى الله تعالى بأفعاله جل وعلا.
- التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح الذي يقدمه الإنسان في الحياة الدنيا

ودليله قوله تعالى: { **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ (193)** } سورة آل عمران

ويكون ذلك على وجهين :

الأول : أن يتوسل بالعمل الصالح إلى إجابة الدعاء.

كما في قوله تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127)} البقرة

والثاني : التوسل بالعمل الصالح من أجل الحصول على ثواب الله وجنته ورضوانه لأن الأعمال الصالحة التي أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بها هي الوسيلة التامة لله والدار الآخرة.

ومثل هذا كقول المؤمنين عند قول الله تعالى: {**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193)**} سورة آل عمران

وأصل العمل الصالح بل أصل الإيمان والإسلام هو الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته لذا كان التوسل بالإيمان به وطاعته توسلا مشروعا.

- التوسل إلى الله تعالى بطلب الدعاء من الصالحين وقد أخذ به إخوة يوسف فإنهم قالوا : { **يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (97)** } سورة يوسف
- التوسل إلى الله بإظهار الضعف والحاجة والافتقار إلى الله.

(1) صحيح انظر صحيح الترغيب والترهيب رقم 1822

قال تعالى: { **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83)** } سورة الأنبياء

- التوسل إلى الله بتوحيده.

ودليله قوله تعالى : { **فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)** } سورة الأنبياء

- التوسل إلى الله بالاعتراف بالذنب.

قال تعالى : { **فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24)** } سورة القصص

- التوسل إلى الله تعالى بذكر وعده جل وعلا.

كما في قوله تعالى: {**رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ**} سورة آل عمران

ومنه أن يقول الداعي : اللهم إنك وعدت من دعاك بالإجابة فاستجب دعائي.

- الثناء على الله تعالى والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في بداية الدعاء.

أنواع التوسل البدعي :

إن كل توسل لم يرد في النصوص ما يدل على مشروعيته فهو توسل بدعي محرم ومن أمثلة هذه التوسلات المحرمة :

- التوسل إلى الله بذات وشخص المتوسل به.

كأن يتوسل إلى الله تعالى بذات نبي أو عبد صالح أو الكعبة أو غيرها من الأشياء الفاضلة كأن يقول : اللهم إني أسألك بذات أبينا آدم عليه السلام أن ترحمني.

وهذا النوع لم يرد في الكتاب والسنة ما يدل على صحة التوسل به بل إن السنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ترده ففي حديث الاستسقاء قال عمر رضي الله عنه : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم

نبينا فاسقنا. [1]

فهذا يدل على أنهم كانوا يتوسلون بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وليس بذاته لأنه لو كان التوسل بالذات لتوسلوا به بعد موته لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم من ذات العباس ولكن التوسل كان بالدعاء وليس بالذات وهذا في حياته وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره وشفاعة غيره.

فعلم أن المشروع عند الصحابة التوسل بدعاء المتوسل به لا بذاته.

- التوسل بجاه فلان أو حقه أو حرمته أو بركته.

كأن يقول المتوسل: اللهم إني أتوسل إليك بجاه فلان أو بحق فلان عندك أن تقضي حاجتي.

وهذا الوجه من التوسل يقضي أن المتوسل به من الأنبياء والصالحين وغيرهم لهم جاه عند الله وهذا صحيح فإن هؤلاء لهم عند الله منزلة وجاه وحرمة تقضي أن يرفع الله درجاتهم ويعظم أقدارهم ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا بعد إذنه لقوله تعالى : **{مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}** سورة البقرة

ولكن هذا الجاه والحرمة سبب أجنبي عن المتوسل ولا علاقة بينه وبين إجابة الدعاء بل هذا من الاعتداء بالدعاء.

وهذا الجاه والحرمة ينفع المتوسل إذا دعوا له وشفعوا فيه.

فأما إذا لم يكن منهم دعاء ولا شفاعة لم يكن سؤاله بجاههم نافعا له لأن الله لم يجعله سببا لإجابة الدعاء.

- الإقسام على الله بالمتوسل به.

ومثاله أن يقول المتوسل اللهم إني أقسم عليك بفلان أن تقضي حاجتي وهذا لا يجوز لأن الأصل في القسم والحلف أن يكون بالله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم : من كان

---

(1) رواه البخاري رقم 1010

حالفا فليحلف بالله أو ليصمت.[1]

وقوله صلى الله عليه وسلم : من حلف بغير الله فقد أشرك.[2]

فيتعين أنه لا يجوز القسم بمخلوق على مخلوق فكيف يجوز الحلف بالمخلوقات على الخالق الذي هو أجل وأعظم من أن يقسم عليه بمخلوقاته بل هو الذي يقسم به على مخلوقاته سبحانه وتعالى.

وعليه فلا يجوز للمسلم أن يدعو الله تعالى بشيء من هذه التوسلات ولذلك لم يثبت في رواية صحيحة صريحة أن أحدا من الصحابة أو التابعين توسل إلى الله تعالى بشيء منها ولو كان خيرا لسبقونا إليه وقد نُقلت عنهم أدعية كثيرة جدا وليس فيها شيء من هذه التوسلات وهذا إجماع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين على عدم مشروعية جميع هذه التوسلات.

فائدة : فيه تنبيه أن مبنى العلم ومبنى الدعوة على الرحمة.

ومن آكد الرحمة رحمة المعلمين بالمتعلمين في تلقيهم أحكام الدين وترقيتهم منازل اليقين.

فالرحمة والترحم بين المعلم والمتعلم وبين الداعية والمدعو لأن الرحمة في ذلك هي سبب التواصل كما قال تعالى : { **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)** } سورة آل عمران

فينبغي على المعلم وعلى الداعية وعلى الآمر بالمعروف وعلى الناهي عن المنكر أن يكون رحيما بالخلق.

ومن طرائق رحمة المعلمين بالمتعلمين :

الدعاء لهم وإيقافهم على مهمات العلم بإقراء أصول المتون وتبين مقاصدها الكلية

---

(1) رواه مسلم
(2) صحيح انظر صحيح الترغيب والترهيب رقم 2952

ومعانيها الإجمالية.

فائدة : الكريم اسم من أسماء الله جل وعلا وهو دال على صفة الكرم وهي تعني اجتماع صفات الخير.

ووجه الاختصاص بذكر الاسم بالسؤال : أنه من كرمه سبحانه وتعالى أن يفيض عليك من رحماته وأن يفتح عليك في فهمك وأن يهديك إلى صراطه المستقيم فهو الكريم الذي يتفضل بفضائله سبحانه وتعالى.

فائدة : وفي قوله : أسأل الله الكريم رب العرش العظيم حيث ذكر هنا ربوبية الله وهي : الملك والخلق والتصرف والتدبير في هذه الكائنات.

فائدة : وإنما خص الشيخ رحمه الله العرش بالذكر هنا لأنه أعظم مخلوقات الله عز وجل وأكبرها وأيضا فيه تذكير بعظمة الله وكماله وكبرياءه.

ثم اعلم أن قول الشيخ : العظيم يحتمل لأمرين :

1- يحتمل أن يكون العظيم صفة لله عز وجل.
2- ويحتمل أن يكون صفة للعرش وكلاهما حق.

وقد وصُف العرش بأوصاف كثيرة في الكتاب والسنة منها :

- وصف بالعظمة :

قال تعالى : { **فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129)** } سورة التوبة

- ووصف بالكرم :

قال تعالى : { **فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116)** } سورة المؤمنون

- ووصف بالمجيد :

قال تعالى : { **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15)** } سورة البروج وهذا على قراءة الجر.

وتمدح سبحانه بأنه ذو العرش كما قال تعالى : { **رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ (15)** } سورة غافر

وأخبر أن للعرش حملة كما قال تعالى : { **وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17)** } سورة الحاقة

وأخبر سبحانه أن عرشه كان قبل أن يخلق السموات والأرض كما قال تعالى : {**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء... (7)** } سورة هود

فائدة : قد دعا الشيخ بثلاث دعوات جامعة وهي :

- أن يتولاك في الدنيا والآخرة.
- وأن يجعلك مباركا أينما كنت.
- وأن يجعلك ممن إذا أعطى شكر وإذا ابتلي صبر وإذ أذنب استغفر.

وهذا هو المطلوب وما قبله وسيلة.

فائدة : أن يتولاك أي : أن يكون وليا لك في الدنيا والآخرة.

وتوليته لك في الدنيا : بحفظك وتوفيقك وتسديده وعونه لك على طاعته وبالعموم بحفظه من ضلالات الفتن وتثبيته على الحق والاستقامة حتى الممات.

وتوليته في الآخرة : يكون بحفظ العبد من شدائدها وأهوالها وإنقاذه من النار ومن دخولها وتوفيقه بدخول الجنة والفوز بنعيمها وبأن يرى الله تبارك وتعالى.

واعلم أن ولاية الله تنقسم إلى قسمين :

- ولاية عامة : تعم جميع الخلق ومعناها ولايته على الخلق كلهم تدبيرا وقياما بشؤونهم من رزق وإطعام ونحو ذلك.

ودليها قوله تعالى : { **ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (62)** } سورة الأنعام

- وولاية خاصة بالمؤمنين ومقتضاها النصر والتأييد والتوفيق والإعانة والتسديد لكل خير.

ومن فضائل ولاية الله :

- فمن كان الله وليه فهو من المؤمنين وأن الله يخرجه من الظلمات إلى النور

قال تعالى : { **اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ....(257)**} سورة البقرة

- ومن تولاه الله أصلح له أموره ويسرها له وكفاه ما يهمه.

كما قال تعالى : { **نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (32)** } سورة فصلت

- أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

كما قال تعالى : { **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (62)** } سورة يونس

فائدة : الدنيا : بضم الدال على المشهور وحكى ابن قتيبة وغيره كسرها وجمعها دنى ككبرى وكبر وهي من دنوت لدنوها وسبقها الدار الآخرة وينسب إليها دنيوي ودنيي وقال الجوهري وغيره : ودنياوي

فالدنيا : تأنيث الأدنى مثل حبلى لا ينصرفان لاجتماع الوصفية ولزوم حرف التأنيث آخره.

فائدة : مباركا مفعول بارك من البركة وهو وصف لوجود البركة في الشيء.

أي أن يجعلك الله ذا بركات ومنافع في الدين والدعاء إليه ومعلما له وأن تكون مباركا في عمرك وفي عملك وفي علمك.

ولا يكون العبد مباركا إلا إذا كان في مجالسه :

- صالحا في نفسه ليس فيه شر ولا أذى ولا إفساد ولا غير ذلك.
- ومصلحا لغيره نافعا لهم.

فكل من جالسه أو اجتمع به نالته بركته وسعد بمصاحبته.

فائدة : وأن يجعلك ممن إذا أعطى شكر وإذا ابتلي صبر وإذ أذنب استغفر فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

اعلم أن العبد لا ينفك عن حال من هذه الأحوال الثلاثة فهو :

- إما أن يعطى فالواجب عليه أن يشكر.
- وإما أن يبتلى فالواجب عليه الصبر.
- وإما واقع في الذنب وواجبه في هذه الحالة : الاستغفار.

فمن كانت حاله الشكر عند العطاء والصبر عند البلاء والاستغفار عند الذنب والخطأ فإنه قد حاز أسباب الفلاح والسعادة فالأمر كما قال الشيخ رحمه الله: (فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة)

فإنه بالصبر يعيش مطمئنا وبالشكر يعيش متواضعا وبالاستغفار يعيش خائفا وجلا في وقت المهلة فيكون مبادرا إلى الطاعات مبتعدا عن المعاصي.

واعلم أنه كلما عظم التوحيد في القلب عظمت هذه الثلاث.

فائدة : وعنوان الشيء ما يدل عليه ومنه عنوان الكتاب والسكن اسما لما يدل عليهما فعنوان الكتاب هو اسمه وعنوان السكن هو موضع السكن.

فائدة : والشكر يكون بـ :

- بالإقرار بالنعمة باطنا وذلك باعتقاده أن هذه النعم من الله وحده فمرده إليه إن شاء أبقاها وإن شاء سلبها.
- بلسان المقال : وذلك بأن ينسب ذلك العطاء إلى من أعطاه وأن يثني عليه وأن لا يلتفت فيه إلى غيره.

ومنه قوله تعالى : { وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11) } سورة الضحى

- ويكون بالعمل : وأن يكون باستعمال النعم في مرضاة موليها ومعطيها.

ومنه قوله تعالى : { اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)}سورة سبأ

- وقد يكون بالمقال والعمل معا :

ومنه قوله تعالى : { فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ (152) } سورة البقرة

فائدة : للشكر فوائد كثيرة منها :

- أن الله أمر به.

قال تعالى : { فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ (152) } سورة البقرة

- ثناء الله على عباده الشاكرين.

قال تعالى : {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (121) }سورة النحل

- أن الشكر نافع لصاحبه.

قال تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12) } سورة لقمان

- أن الشكر سبب لزيادة النعم وبقائها.

قال تعالى في سورة إبراهيم : {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7) } سورة إبراهيم

- أنه مانع من العذاب.

قال تعالى: {مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)} سورة النساء

فائدة : عرفنا أن العبد يشكر الله فهل يشكر السبب ؟

إن كان السبب حقيقيا فإنه يشكر لكن بعد " ثم " فإذا شفي من المرض قال هذا بفضل الله ثم بمهارة الطبيب.

فإذا ترك القول بفضل الله ونسبها إلى السبب الحقيقي فهذا شرك أصغر.

عن ابن عباس في قوله تعالى: **(فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)** قال : الأنداد هو الشرك أخفي من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي ويقول : لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص ولولا البط في الدار لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت وقول الرجل: لولا الله وفلان لا تجعل فيها " فلان " فإن هذا كله به شرك. (1)

قال عبد الله بن محمد الغنيمان : ومثل أن يقول : لولا أن السيارة جديدة ما وصلنا في هذا الوقت إلى هذا المكان.

وما أشبه ذلك من إضافة النعم التي تحصل للإنسان إلى الأسباب، فهذا من التنديد بالألفاظ، وهو نوع من أنواع الشرك. (2)

وإذا لم يكن سببا حقيقيا فمجرد نسبتها إليه من الشرك.

فائدة : والبلاء نوعان :

- معائب.

كالمعاصي والذنوب.

- ومصائب.

وهو ما يعتري العبد من مرض وسقم وفقد عزيز وغيرها.

فائدة : أنواع الصبر وما يعين على كل نوع :

الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام :

1- الصبر على طاعة الجبار أو صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها.

وهو يتكون من شعب :

(1) رواه أبو حاتم في تفسيره بسند حسن

(2) شرح كتاب التوحيد شريط 20

- صبر قبل الطاعة بتصحيح النية والإخلاص والتبرؤ من شوائب الرياء.

قال تعالى: { إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (11) } سورة هود فقدم الله عز وجل الصبر على العمل.

- الصبر حال الطاعة حيث لا يغفل عنها أثناء تأديتها ولا يتكاسل فيأتي بها على أكمل وجه مشروع متّبعا ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم حذو القُذَّة بالقُذَّة.

قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (58) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (59)} سورة العنكبوت

- الصبر بعد العمل فلا ينظر لنفسه بعين العجب فيتظاهر بما قدَّم سمعة ورياء لئلا يحبط عمله ويبطل أجره ويمحو أثره.
- الصبر على دوام الطاعة.

2- الصبر عن معاصي الجبار أو صبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها.

طرق تحصيل الصبر عن المعاصي :

- علم العبد بقبحها ورذالتها ودناءتها وأن الله إنما حرَّمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدَّنايا والرذائل.
- الحياء من الله سبحانه.
- مراعاة نعمه عليك وإحسانه إليك.
- الخوف من الله وخشية عقابه.
- محبة الله وهي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه.
- شرف النفس وزكاؤها وفضلها وأنفتها وحميتها أن تختار الأسباب التي تحطها وتضع قدرها وتخفض منزلتها وتحقرها وتسوّي بينها وبين السفلة.

- قوة العلم بسوء عاقبة المعصية وقبح أثرها والضرر الناشئ منها.
- قصر الأمل وعلمه بسرعة انتقاله وأنه كمسافر دخل قرية وهو عازم على الخروج منها أو كراكب قال في ظل شجرة ثم سار وتركها.
- مجانبة الفضول في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه واجتماعه بالناس.
- ثبات شجرة الإيمان في القلب وهو الجامع لهذه الأسباب كلها.

3- صبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها.

طرق تحصيل الصبر على أقدار الله تعالى :

- معرفة جزائها وثوابها.
- شهود بتكفيرها للسيئات ومحوها لها.
- شهود القدر السابق الجاري بها وأنها مقدرة في أم الكتاب قبل أن يخلق فلا بد منها فجزعه لا يزيده إلا بلاء.
- شهوده حق الله عليه في تلك البلوى وواجبه فيها الصبر بلا خلاف بين الأمة أو الصبر والرضا على أحد القولين فهو مأمور بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى فلا بد له منه وإلا تضاعفت عليه.
- العلم بترتبها عليه بذنبه كما قال الله تعالى : { **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** (30) } سورة الشورى
- أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها.
- أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواءٌ نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته الرحيم به.
- أن يعلم أن في عقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم تحصل بدونه فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته فلينظر إلى

عاقبته وحسن تأثيره.

قال الله تعالى : { وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (216) } سورة البقرة

وقال تعالى : { فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (19) } سورة النساء

- أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا وفضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.
- أن يعلم أن الله يربي عبده على السراء والضراء والنعمة والبلاء فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال.[1]

فائدة : للصبر ثمرات كثيرة منها :

- معية الله مع الصابرين.

قال تعالى : { إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153) } سورة البقرة

- محبة الله للصابرين.

قال تعالى : { وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146)} سورة آل عمران

- الفلاح.

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200) } سورة آل عمران

- صلوات الله ورحمته على الصابرين.

قال تعالى : {... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ

(1) ملخصا من طريق الهجرتين وباب السعادتين ص 275

(156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157) } سورة البقرة

- ضمان النصر والمدد للصابرين.

قال تعالى : { بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126) } سورة آل عمران

- الحفظ من كيد الأعداء.

قال تعالى : { إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120) } سورة آل عمران

- استحقاق دخول الجنة.

قال تعالى : { أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) } سورة الفرقان

- أنه سبب لأن يكون صاحبه من أهل الميمنة.

قال تعالى : { ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (18) } سورة البلد

فائدة : ينقسم الناس عند المصيبة إلى أربعة أقسام :

- متسخطه والتسخط حرام بل كبيرة من كبائر الذنوب والتسخط يكون :
  - بالقلب : كأن يعتقد أن الله ظالمه.
  - باللسان : كأن يدعو الإنسان بالويل وما شابه ذلك.
  - وبالجوارح : كلطم الخدود وشق الثياب وغيرها.
- الصبر : وحكمه أنه واجب بإجماع الأمة.
- الرضا : وهو أعلى من الصبر وحكمه مستحب.
- الشكر : وهو أعلى المراتب.

فائدة : الاستغفار يطلق لغة على : التغطية والستر.

والاستغفار : طلب المغفرة من الله عزوجل.

وللاستغفار ثمرات كثيرة منها :

- أنه أمان من العقوبة والعذاب.

قال تعالى : { **وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)** } سورة الأنفال

- انشراح الصدر.

قال صلى الله عليه وسلم : إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة. (1)

- أنه سبب لمغفرة الذنوب.

قال تعالى : { **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136)**} سورة آل عمران

- أنه سبب لفرح العبد وسروره عند ملاقاة ربه.

قال صلى الله عليه وسلم : من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار. (2)

- رفع الدرجات.

قال صلى الله عليه وسلم : إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول : أنى لي هذا ؟ فيقال : باستغفار ولدك لك. (3)

- أنه سبب لبياض القلب ونقائه وصفائه.

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فإن زاد زادت فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون). (4)

---

(1) صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود رقم 1515
(2) حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته 10899
(3) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم 2497
(4) حسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة رقم 4244

- الأجور العظيمة.

عن عبد الله بن بسر يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم : طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا. [1]

فائدة : لما سميت هذه الخصال عنوان السعادة ؟

عنوان السعادة أي علامة على فلاح المتصف بها وبشرى خير له في الدنيا والآخرة.

وسميت عنوان السعادة لما تظهره من تواضع العبد لله سبحانه وتذلله له وافتقاره إليه وأن الله غني عنه.

فائدة : فإذا كانت هذه الأمور الثلاث هي سبب السعادة والفلاح فينبغي على العبد العناية والاهتمام بها وعنايته بها تكون بأمرين :

- أن يدعو لنفسه بهذا الدعاء أن ييسر الله له هذه الأمور الثلاثة.
- أن يجاهد نفسه أن يكون بمن اتصفوا بهذه الصفات الثلاث.

---

(1) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم 7377

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}

فائدة : هذه المقدمة تتضمن أسلوبا تشويقيا آخر صنعه المصنف وبدأ بما يهيج المخاطب على حسن الإصغاء والتقبل وذلك شيئان :

- الأول : قوله : اعلم وهذا أمر بمعنى الطلب.
- والثاني : الدعاء للطالب.

فائدة : اعلم : كلمة يُؤتى بها عند ذكر الشيء الذي له أهمية وينبغي أن يصغي إليه المتعلم ويتفهم ما يلقى إليه.

وما سيقرره المصنف في هذا المتن حقيق بأن يصغى إليه غاية الإصغاء فينبغي أن تجمع قُوَاك وحواسك وأن تكون متفهما لما يلقى إليك بعدها ولا شيء أعظم من أن يعتنى به ويلقى له السمع والقلب أعظم من التوحيد.

فائدة : تعريف العلم : لغة :

1- الإدراك.
2- العلامة.
3- الأمارة.
4- المعرفة.
5- اليقين.

العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد.

فائدة : أنواع العلم :

- علوم الدين.
- وعلوم الدنيا.

والعلم إذا اطلق في الشرع فالمراد العلم الشرعي.

وعلوم الدين تنقسم إلى : عقد وملح.

والعقد تشمل : علوم أصلية وعلوم مساعدة.

- علوم أصلية وهي علم الكتاب والسنة ويشمل : علم التوحيد وعلم التفسير وعلم الفقه وعلم الحديث.
- علوم مساعدة أو علو الآلة أو علوم الصناعية.

كأصول التفسير المسمى بعلوم القرآن وأصول الحديث المسمى بمصطلح الحديث وأصول الفقه وعلوم اللغة.

- ملح : وتشمل : والأخبار والنوادر ولقصص والتاريخ والسير والغرائب والتراجم والأشعار والمناظرات.

والعلم من وجه آخر ضربان :

- نظري : ما يحتاج إلى نظر واستدلال.
- ضروري ما يكون إدراك المعلوم فيه ضروريا.

ومن وجه آخر ضربان :

- عقلي.
- وسمعي.

ومن وجه آخر ضربان :

- فرض عين كالعلم بالتوحيد.
- فرض كفاية.

فائدة : قوله اعلم أرشدك الله دعاء أيضا من المصنف للمتعلم يدل على شفقته ومحبة الخير وهي جملة خبرية لفظا إنشائية معنى لأنها المراد بها الدعاء أي من عليك بالهدايتين:

- هداية الدلالة : وهي معرفة سبيل النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة.
- هداية التوفيق : وهي أن يوفقك للعلم النافع والعمل الصالح.

وهذان الهدايتان لا يجتمعان إلا في مؤمن.

والرشد نقيض الغي والضلال ويطلق لغة على :

1- الاستقامة على طريق الحق.
2- الصلاح.
3- إصابة الصواب أو الخير أو الحق.
4- الهداية.
5- والدلالة يقال أرشد فلانا للشيء أي دله عليه.
6- وقيل الرشد يستعمل في كل ما يحمد.
7- القصد.
8- التوفيق يقال رشد فلان أمره أي وفق فيه. (1)

والرشد فيه العقل والحكمة وحسن التصرف ويمن الله سبحانه بالرشد في أمور الدين على أولياءه.

وأما الرشد وحسن التصرف في أمور الدنيا فقط دون أمور الدنيا فذاك يعطيه الله من يحب ومن لا يحب.

وهو من المنن الكريمة والفضائل العظيمة قال تعالى : { **أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** (8) } سورة الحجرات

فائدة : الفرق بين الرشد بالفتح والرشد بالضم :

الرُشد بالضم يكون في الأمور الدنيوية والأخروية والرَشد بالفتح لا يكون إلا في الأمور الأخروية خاصة.

---

(1) انظر لسان العرب مادة رشد

قال شيخ الإسلام : والرشد العمل الذي ينفع صاحبه.

والغي العمل الذي يضر صاحبه فعمل الخير رشد وعمل الشر غي. (1)

قال الحرالي : الرشد حسن التصرف في الأمر حسا أو معنى دينا أو دنيا. (2)

وقال القرطبي : والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشاد وهي الصخرة. (3)

والرشد : عند الفقهاء أن يبلغ الصبي حد التكليف صالحا في دينه مصلحا لماله.

فائدة : الفرق بين الرشد والهدى : الرشد هو العلم بما ينفع والعمل به والرشد والهدى إذا أفرد كل منهما تضمن الآخر وإذا قرن أحدهما بالآخر فالهدى هو العلم بالحق والرشد هو العمل به وضدهما الغي واتباع الهوى. (4)

فائدة : جاء الرشد مقابل لبعض الأمور :

- الغي.

قال تعالى : { **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)**} سورة البقرة

- الشر.

قال تعالى : { **وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10)** } سورة الجن

- الضر.

قال تعالى : { **قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (21)** } سورة الجن

فائدة : تعريف الطاعة :

قال الكفوي : الطاعة فعل المأمورات ولو ندبا وترك المنهيات ولو كراهة فقضاء الدين

---

(1) مجموع الفتاوى 569/10
(2) تفسير القرطبي 314/16
(3) التوقيف على مهمات التعاريف - فصل الشين -
(4) إغاثة اللهفان 55/2

والإنفاق على الزوجة والمحارم ونحو ذلك طاعة لله وليس بعبادة. [1]

أو : هي موافقة الأمر الشرعي.

فائدة : تعريف الحنفية :

وهي من الحنيف ويطلق في اللغة على :

1- الميل.

2- الانقلاب.

3- الاعْوِجاجُ.

الحنيف : قيل أصله الميل أي فالحنيف هو المائل عن الأديان الباطلة.

وقيل : أصله من الاستقامة وسمي دين إبراهيم بالحنيفية لاستقامته.

والحنيفية في الشرع لها معنيان :

- عام وهو الإسلام.
- وخاص وهو الإقبال على الله بالتوحيد ولازمه الميل عما سواه بالبراءة من الشرك.

والمراد هنا المعنيان معا : أي الميل والعدول عن الباطل إلى الحق والهدى والتوحيد والاستقامة مائلا عن الشرك إلى التوحيد وعن الضلال إلى الهدى وعن الباط إلى الحق وعن الغواية إلى الرشاد..

فائدة : تعريف الملة :

يقول الإمام الطبري : وأما الملة : فإنها الدين وجمعها الملل. [2]

وقال القرطبي : والملة : اسم لما شرعه الله لعباده في كتبه وعلى ألسنة رسله فكانت الملة والشريعة سواء. [3]

فائدة : تعريف الدين : فكلمة الدين تطلق في اللغة على :

---

(1) الكليات للكفوي ص 582

(2) تفسير الطبري 565/1 و 614 552/10.

(3) تفسير القرطبي 93/2

1- يطلق على الإسلام.

2- القهر والاستعلاء والغلبة من ذي سلطة عليا.

3- الطاعة والانقياد والخضوع والذل.

4- الجزاء والمكافأة والحساب.

5- العادة والشأن والسيرة والطريقة.

6- القضاء كما في قوله تعالى :**{مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ}** سورة يوسف

7- السياسة والملك تقول : دنته أي سسته وملكته.

8- ويطلق على الحال.

وبالنظر إلى تعديته بالباء أو باللام أو بنفس الكلمة له ثلاثة وجوه :

- إذا عديت الكلمة الدين بنفسها قلنا : دانه دينا.

شملت معاني : الملك والحكم والقضاء والقهر والمحاسبة والجزاء والأمر والإكراه والغلبة والاستعلاء والسلطان وما في معناها.

- وإذا عديت الكلمة باللام فقلنا : دان له.

شملت معاني : الطاعة والخضوع والعبادة والذل والانقياد وما في معناها.

ونلاحظ هنا أن بين المعنيين تلازما وكلاهما مرتبط بالآخر: فقولنا: "دانه فدان له": أي قهره فخضع له وأطاع وذل.

- وإذا عديت بالباء فقلنا : دان به.

شملت معاني : العادة والشأن والملة والطريقة والسيرة وما في معناها لأن كل من دان بشيء فقد اتخذه مذهبا ودينا واعتاده وتخلق به.[1]

وللدين أسماء أخرى :

- منها الإيمان.

---

(1) انظر منهج القرآن والتوراة والإنجيل في توحيد الله ص 9-10

قال تعالى : {فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} سورة الذاريات

- ومنها الصراط.

قال تعالى : { صِراطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ } سورة الشورى.

- ومنها كلمة الله
- ومنها النور : { لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ } سورة الصف
- ومنها الهدى لقوله : { يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ } سورة الأنعام
- ومنها العروة : { فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى } سورة لقمان
- ومنها الحبل : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ} سورة آل عمران
- ومنها { صِبْغَةَ اللَّهِ} سورة البقرة {وفِطْرَتَ اللَّهِ } سورة الروم [1]

أنواع الدين :

أولا : باعتبار الإضافة ينقسم إلى :

1- يضاف إلى الرب.

2- يضاف إلى العبد.

قال ابن القيم : والدين تارة يضاف إلى العبد وتارة يضاف إلى الرب.

فيقال الإسلام دين الله الذي لا يقبل من أحد دينا سواه ولهذا يقال في الدعاء اللهم انصر دينك الذي أنزلت من السماء ونسب الكمال إلى الدين والتمام إلى النعمة مع إضافتها إليه لأنه هو وليها ومسديها إليهم وهم محل محض النعمة قابلين لها ولهذا يقال في الدعاء المأثور للمسلمين واجعلهم مثنين بها عليك قابليها وأتممها عليهم.

وأما الدين : فلما كانوا هم القائمين به الفاعلين له بتوفيق ربهم نسبه إليهم فقال أكملت

(1) انظر المعين على تفهم الأربعين ص 42 ومفاتيح الغيب للرازي 342/32 والكتاب فيه مخالفات عقدية

لكم دينكم[1]

ثانيا : باعتبار إضافته إلى الرب :

1- دين شرعي أمري.

2- دين حسابي وجزائي.

قال ابن القيم : والدين دينان : دين شرعي أمري ودين حسابي جزائي.

وكلاهما لله وحده فالدين كله لله أمرا أو جزاء والمحبة أصل كل واحد من الدينين فإن ما شرعه سبحانه وتعالى وأمر به يحبه ويرضاه وما نهى عنه فإنه يكرهه ويبغضه لمنافاته لما يحبه ويرضاه فهو يحب ضده فعاد دينه الأمري كله إلى محبته ورضاه ....

وكذلك دينه الجزائي فإنه يتضمن مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وكل من الأمرين محبوب للرب فإنهما عدله وفضله وكلاهما من صفات كماله وهو سبحانه يحب صفاته وأسماءه ويحب من يحبها وكل واحد من الدينين فهو صراطه المستقيم الذي هو عليه سبحانه فهو على صراط مستقيم في أمره ونهيه وثوابه وعقابه.[2]

ثالثا : باعتبار إضافته إلى الرب شريعة :

1- أمور علمية اعتقادية.

2- أمور طلبية عملية.

قال شيخ الإسلام : أما العلم بالدين وكشفه فالدين نوعان : أمور خبرية اعتقادية وأمور طلبية عملية.

فالأول : كالعلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويدخل في ذلك أخبار الأنبياء وأممهم ومراتبهم في الفضائل وأحوال الملائكة وصفاتهم وأعمالهم ويدخل في ذلك صفة الجنة والنار وما في الأعمال من الثواب والعقاب وأحوال الأولياء والصحابة وفضائلهم

(1) إجتماع الجيوش الإسلامية ص 3
(2) الجواب الكافي ص 218

ومراتبهم وغير ذلك.

وقد يسمى هذا النوع أصول دين.

ويسمى الفقه الأكبر ويسمى الجدال فيه بالعقل كلاما .

ويسمى عقائد واعتقادات.

ويسمى المسائل العلمية والمسائل الخبرية ويسمى علم المكاشفة.

والثاني : الأمور العملية الطلبية من أعمال الجوارح والقلب كالواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباحات فإن الأمر والنهي قد يكون بالعلم والاعتقاد فهو من جهة كونه علما واعتقادا أو خبرا صادقا أو كاذبا يدخل في القسم الأول ومن جهة كونه مأمورا به أو منهيا عنه يدخل في القسم الثاني مثل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهذه الشهادة من جهة كونها صادقة مطابقة لمخبرها فهي من القسم الأول ومن جهة أنها فرض واجب وأن صاحبها بها يصير مؤمنا يستحق الثواب وبعدمها يصير كافرا يحل دمه وماله فهي من القسم الثاني. [1]

مراتب الدين ثلاثة :

1- الإسلام.
2- الإيمان.
3- الإحسان.

فائدة : هل هناك فرق بين الملة والدين والشريعة ؟

قال القرطبي : فأما الدين فقد فرق بينه وبين الملة والشريعة فإن الملة والشريعة ما دعا الله عباده إلى فعله والدين ما فعله العباد عن أمره. [2]

وقال الفيروزابادي : والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي صلى الله

(1) مجموع الفتاوى 336/11-337
(2) تفسير القرطبي 93/2

عليه وسلم الذى تستند إليه نحو: { **فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ .... (95)**} سورة آل عمران ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى ولا إلى آحاد أمة النبي صلى الله عليه وسلم ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها لا يقال: ملة الله ولا ملتي ولا ملة زيد كما يقال دين الله وديني ودين زيد. ولا يقال للصلاة: ملة الله كما يقال دين الله.

وأصلها من أمللت الكتاب.

وتقال اعتبارا بالشيء الذي شرعه الله والدين يقال اعتبارا بمن يقيمه إذ كان معناه الطاعة.

والملة : الطريقة المستقيمة هذا معناها في الأصل.

ومللته ومللت منه واستمللته واستمللت منه أي تبرمت منه. [1]

وقال الماوردي رحمه الله : والفرق بين الملة والدين أن الملة ما شرعه الله والدين ما اعتقده الناس تقربا إلى الله فصار كل دين ملة وليس كل ملة دين. [2]

فائدة : لماذا أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة إبراهيم عليه السلام ؟

قال العلامة ابن عاشور رحمه الله في تفسيره : ومعنى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ملة إبراهيم الواقع في كثير من آيات القرآن : أن دين الإسلام بُني على أصول ملة إبراهيم وهي أصول الفطرة والتوسط بين الشدة واللين كما قال تعالى : {**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ .... (78)** } سورة الحج [3]

قال ابن كثير : وليس يلزم من كونه أمر باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها لأنه عليه السلام قام بها قياما عظيما وأكملت له إكمالا تاما لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال.

ولهذا قال : أنا خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم على الإطلاق وصاحب المقام المحمود الذي

(1) بصائر ذوي التمييز بصيرة في ملأ ومل
(2) تفسير الماوردي 239/2
(3) التحرير والتنوير 257/13

يرغب إليه الخلق حتى الخليل عليه السلام.[1]

فائدة : وحقيقية ملة إبراهيم عليه السلام هي تحقيق معنى لا إله إلا الله.

كما قال تعالى حكاية عنه : **{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (28)}** سورة الزخرف

وملة إبراهيم عليه السلام لها ثلاثة أركان :

- إخلاص العبادة لله تعالى.
- موالاة أولياء الله تعالى.
- البراءة من الشرك والمشركين.

فائدة : وبهذا تعلم شيئين :

- أن الدين الذي اختاره الله لعباده وبعث به رسله وأنزل به كتبه هي الحنيفية.
- بطلان الدعوة التي ترفع بها جماعة الإخوان عقيرتها بأن الديانات السماوية ثلاث كما يزعمون الإسلام واليهودية والنصرانية.

فإذا علم هذا فاعلم أن أصل الدين وأساسه أمران :

- الدعوة إلى عبادة الله وحده والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه.
- الإنذار والتحذير من الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله.[2]

فائدة : فالحنيفية دين جميع الأنبياء فلا تختص بإبراهيم عليه السلام وأضيفت إليه في كلام المصنف وغيره تبعا لوقوعها كذلك في القرآن وموجب نسبتها إليه أمران :

- أن الذين بعث فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم يعرفون إبراهيم عليه السلام وينتسبون إليه ويعتبرونه جدا لهم ويزعمون أنهم على دينه فأجدر بهم أن يتبعوه

---

(1) انظر تفسير ابن كثير 381/3

(2) البيان المرصع شرح القواعد الأربع ص 16-17

فيكونوا حنفاء لله غير مشركين به فحسنت إضافتها إليه دون غيره من الأنبياء.

- أن الله جعل إبراهيم عليه السلام إماما لمن بعده من الأنبياء بخلاف سابقيه فلم يجعل الله أحدا منهم إماما لمن بعده من الأنبياء. (1)

فائدة : تعريف الإخلاص :

يطلق الإخلاص لغة على :

1- الاختيار.

2- التنقية والتهذيب.

3- ترك الرياء.

4- التصفية.

5- التخصيص.

6- محض الشيء وتوحيده.

7- النجاة.

8- التمييز.

اصطلاحا : قال ابن القيم : والإخلاص : أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام. (2)

وقال السعدي : والإخلاص: أن يقصد العبد وجه الله وحده. (3)

(1) شرح العصيمي على القواعد الأربعة ص 11
(2) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي 135
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 68

قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}

استدل بها الشيخ ليبين حقيقة ومعنى التوحيد : بأن معناه : إفراد الله بالعبادة وليس معناه : الإقرار بالربوبية بل معناه : إفراد الله بالعبادة بدليل هذه الآية وغيرها.

فائدة : {ما} حرف نفي :

النفي : يطلق في اللغة على :

1- العزل.
2- والتنحية.
3- الطرد.
4- الإقصاء.
5- الإخراج.

أقسام النفي باعتبار نفي الصحة والكمال والأصل :

- نفي الأصل.
- نفي الصحة.
- نفي الكمال وهو نوعان :
  - واجب.
  - ومستحب.

نحو قوله تعالى في أهل النار: { **لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى (74)** } فنفى عنه الموت لأنه ليس بموت صريح ونفي عنه الحياة لأنها ليس بحياة طيبة ولا نافعة. [1]

فائدة : معاني الخلق في اللغة :

1- التقدير.
2- وقيل : التقدير المستقيم.

---

(1) انظر معاني النحو - دلالات النفي – 4/216-222 ل : د. فاضل صالح السامرائي

3- والقطع أيضا يقال خلقت هذا على ذاك إذا قطعته على مقداره.

4- الكذب نحو قوله تعالى: { وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا... (17)}. القصص

5- ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء.

قال تعالى : { خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } أي أبدعهما بدلالة.

قوله : { بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ }.

6- ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء.

قال تعالى: { خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ }.

وليس الخلق بمعنى الإبداع إلا لله تعالى.

والخلق لا يستعمل في جميع الناس إلا على وجهين :

- أحدهما في معنى التقدير كقوله:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض الـ .... قوم يخلق ثم لا يفرى

- والثاني : في الكذب نحو قوله تعالى: { وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا }.

7- التقدير بمعنى المساواة بين شيئين.

يقال خلقت النعل إذا قدرته فأطلق على إيجاد شيء أي على مقدار شيء سبق له الوجود والخلق الجمع أيضا ومنه الخليقة لجماعة المخلوقات.

فائدة : {الجِنَّ} فهم عالم من عالم الغيب نؤمن بهم ولكننا لا نراهم ولذلك سموا بـ {الجِنَّ} من الاجتنان وهو الاستتار.

ويقال: جَنَّه الليل إذا ستره.

ويقال : الجنين في البطن لماذا سمي جنينا ؟ لأنه مستتر.

فـ {الجِنَّ} سموا جنا لأنهم مستترون عن أبصارنا لا نراهم {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ} فهم من عالم الغيب.

وأما {وَالانْسَ} معناها : بنو آدم من الاستئناس لأنهم يأنس بعضهم ببعض ويألف بعضهم بعضا.

وقيل : سمي الإنس إنسا لظهورهم وإدراك البصر.

فائدة : {إِلَّا} أداة استثناء.

الاستثناء لغة هو استفعال معناه :

- العطف لأن المستثنى معطوف عليه بإخراجه من الحكم.
- أو الصرف لأنه مصروف عن حكم المستثنى منه.

فائدة : أنواع الاستثناء :

1- استثناء متصل : ويكون المستثنى من جنس المستثنى منه
2- استثناء منقطع : ويكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه
3- استثناء مفرغ وهو إما :
   - لعة.
   - أو لغاية.

هو في الآية استثناء مفرغ واعلم أن الآية دلت على أن الله تعالى خلق الخلق لحكمة عظيمة وهي القيام بما وجب عليهم من عبادته وحده بترك عبادة ما سواه ففعل الأول وهو خلقهم ليفعلوا هم الثاني وهي العبادة.

وهنا يتطلب أن تعرف أمرين :

1- العبادة ما هي وما حقيقتها وما أفرادها.
2- أن تجعلها كلها لله فلا تجعل لأحد منها شيئا.

فائدة : تعريف العبادة :

هي مصدر عبد يعبد عبادة أي أطاع وهذا المصدر مأخوذ من مادة (عبد) العين والباء

والدال أصلان صحيحان كأنهما متضادان والأول من ذينك الأصلين يدل على لين وذل.

والآخر على شدة وغلظ.

وقد ذكر علماء اللغة عدة معان لكلمة (عبد) ولكنها ترجع إلى هذين الأصلين ومن تلك المعاني :

أولا : إن كان (ع ب د) من باب نصَر ينصُر أي : بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع فمن معانيها :

1- الخضوع والخشوع.
2- التذلل.
3- الطاعة.
4- الانقياد.
5- التأله.
6- التنسك.
7- المملوكة.

ثانيا : إن كان(ع ب د) من باب فرِح يفرَح. أي : بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع فمن معاينها :

1- الغضب.
2- الأنفة والكراهة.
3- القوة والصلابة.
4- الإنكار.

5- البقاء وغيرها من المعاني.[1]

العبودية معناها : الذلة والاستعانة مأخوذ من قولهم : طريق معبد أي مذلل وطئته الأقدام وذلّلته بكثرة الوطء حتى أصبح ممهدا.

وعبادة الله لها معنيان في الشرع :

- عام : وهو امتثال خطاب الشرع بالحب والخضوع.
- وخاص : وهو التوحيد.

قال القرطبي : أصل العبادة التذلل والخضوع وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى .

وقال الشيخ ابن العثيمين : والعبادة تطلق على شيئين :

الأول : التعبد بمعنى التذلل لله– عز وجل– بفعل أوامره واجتناب نواهيه محبة وتعظيما.

الثاني : المتعبد به فمعناها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

مثال ذلك : الصلاة ففعلها عبادة وهو التعبد.

ونفس الصلاة عبادة وهو المتعبد به.[2]

تعريف أهل البدع : للعبادة هي الذل والخضوع لأوامر الله القدرية الكونية.

وهذا لا يكفي ويلزم منه أن الكافر عابد لله تعالى لأن كل إنسان خاضع لأوامر الله القدرية.

وبهذا الاعتبار حتى الشيطان يكون خاضعا لأوامر الله القدرية وهذا تعريف باطل

والصحيح أن العبادة هي : الذل والخضوع لأوامر الله الشرعية.

---

(1) انظر لسان العرب مادة عبد وانظر الصحاح مادة عبد ومقاييس اللغة مادة عبد
(2) القول المفيد على كتاب التوحيد 10/1

فائدة : شروط العبادة حتى تكون مقبولة :

اعلم أن القرآن العظيم دل على أن العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور :

1- الأول : موافقته لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

لأن الله يقول: { **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7)** } سورة الحشر

2- الثاني : أن يكون خالصا لله تعالى.

لأن الله جل وعلا يقول: {**وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5)** } سورة البينة

وقال : { **قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي (14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ....(15)** } سورة الزمر

3- الثالث : أن يكون مبنيا على أساس العقيدة الصحيحة.

لأن الله يقول: {**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)** } سورة النحل

فقيد ذلك بالإيمان ومفهوم مخالفته أنه لو كان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح

والناس في هذا المقام ينقسمون إلى أربعة أقسام :

- من حقق الإخلاص والمتابعة وهم الكمل من خلق الله عز وجل.
- من حقق الإخلاص دون المتابعة وهذا يدخل فيه جهلة العباد.
- من حقق المتابعة دون الإخلاص وهذا يكثر عند المنافقين.
- من لم يحقق الإخلاص ولا المتابعة وهم شر الخلق.

فائدة : اطلاقات العبادة :

بحسب ما تتعلق به :

وهي إما أن تكون :

1- عبادة عامة كونية.

فالعبودية العامة عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم فهذه عبودية القهر والملك فالخلق كلهم عبيد ربوبيته.

قال تعالى : { **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93)** } سورة مريم

2- عبادة خاصة شرعية.

فهي عبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر.

قال تعالى : { **يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (68)**} سورة الزخرف [(1)]

بحسب المتوجه بها إليه :

1- فمن توجه بعبادته لله وحده كانت توحيدا.

2- ومن توجه بها لغير الله كانت شركا وإن سميت عبادة.

باعتبار المقابلة :

تطلق على ما يقابل المعاملات فتجد الفقهاء يقسمون كتبهم إلى عبادات ومعاملات وإن كانت المعاملات داخلة في مسمى العبادة العام.

فائدة : أنواع العبادة :

الاعتبار الأول :

1- عبادات ظاهرة.

2- عبادات باطنة.

الاعتبار الثاني : نوع العمل :

1- عبادات بدنية.

2- عبادات مالية.

3- عبادات بدنية ومالية.

---

(1) انظر المدارج لابن القيم 1/101-102

الاعتبار الثالث : الجهة التي تقوم بها :

1- عبادة قولية.

2- عبادة الجوارح.

3- عبادة قلبية.

الاعتبار الرابع :

1- عبادات محضة : وهي كل فعل لا يعلم إلا من الشرع.

2- عبادات غير محضة : وهي الأفعال والأقوال التي ليست من العبادات من أصل مشروعيتها ولكن تتحول بالنية الصالحة إلى عبادات.

فائدة : المراد بقوله تعالى : { إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (56) } أي يوحدون

فائدة : ووجه كون الآية دليلا على ما ذكره الشيخ :

- صريح نصها المبين أنهم مخلوقون للعبادة.
- لازم لفظها المبين أن الناس مأمورون بها لأنهم مخلوقون لأجل العبادة.

فائدة : يستفاد من قوله الله تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (56) }

1- فيها : دلالة على إثبات صفة القدرة لله تعالى وذلك بقدرته على الخلق.

2- وفيها : دلالة على إثبات صفة الإرادة وذلك بأنه خلق الخلق بإرادته.

3- وفيها : إثبات صفة الحكمة وذلك بأنه خلقهم لحكمة وهي العبادة.

4- وفيها : دلالة على إثبات صفة الخلق.

5- وفيها : دلالة على إثبات صفة العلم وذلك بأنه خلق الخلق عن علم ليس عن جهل تعالى الله عن ذلك.

6- وفيها : دلالة على إثبات صفة الغنى لله فهو غني عنهم.

7- وفيها : دلالة على أن التوحيد هو أول واجب.

8- وفيها : دلالة على أن التوحيد واجب على الأعيان.

9- وفيها : دلالة على أهمية وعظم التوحيد.

10- وفيها : دلالة على إثبات وجود الجن وأنهم مكلفون.

11- وفيها : أن الجن لا يعلمون الغيب.

12- وفيها : دلالة على أن الغاية من إيجاد الخلق توحيد الله لا تعمير الأرض.

13- وفيها : دلالة على بيان معنى التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة.

14- وفيها : دلالة على أن توحيد حق خالص لله تعالى.

15- وفيها : دلالة على وجوب عبادة الله وحده.

16- وفيها : دلالة على أن الخالق هو المستحق للعبادة وحده.

فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته : فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة.

فائدة : قوله :"فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته": جملة شرطية جوابها قوله " فاعلم..."

فائدة : قوله :"فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد " تفريع بناء على أصل وهو أنه لما تقرر عندنا أن العبادة هي المقصودة من الوجود وأن الله إنما خلقنا لعبادته فرَّع على ذلك ببيان العبادة التي أمرنا بها وأنها لا تستقيم إلا بالتوحيد الذي هو غاية الوجود فهو الأصل العظيم الذي لا تقبل العبادة إلا به وهو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له.

فالتوحيد شرط في قبول العمل قال تعالى : **{ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (88) }** سورة الأنعام

وقال تعالى: **{لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) }** سورة الزمر

فائدة : قوله التوحيد المراد به هنا توحيد العبادة وهو توحيد الألوهية بدليل أنه فسر التوحيد بالعبادة.

فالتوحيد لغة هو : مصدر وحد يوحد توحيدا وقد جاء هذا اللفظ (التوحيد) بقلة وهو الإفراد ولا يكون الشيء مفردا إلا بأمرين :

1 – الإثبات التام.

2 – النفي التام.

التوحيد على وزن التفعيل وهو مصدر وحدته توحيدا ولهذا الفعل معنيان :

أحدهما : تكثير الفعل وتكريره والمبالغة فيه كقولهم كسرت الإناء وغلقت الأبواب وفتحها.

الوجه الثاني : وقوعه مرة واحدة كقولهم : غديت فلانا وعشيته وكلمته.[1]

وللتوحيد لغة معنيان :

1- الأول : جعل المتعدد واحدا بنفي الحكم عما سوى الموحَّد وإثباته له.

2- والثاني : اعتقاد الشيء واحدا وهذا بمعنى النسبة إلى الوحدانية وليس في هذا تصيير أو جعل.

فمعنى وحدت الله نسبته للوحدانية لا جعلته واحدا لأن وحدانيته صفته وليست بجعل جاعل.

أما شرعا فله معنيان :

- عام : وهو إفراد الله بحقه وحقه سبحانه نوعان :
  - حق في المعرفة والاثبات.
  - وحق في الإرادة والطلب.

وينشأ من هذين الحقين أن الواجب لله في توحيده ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

- خاص : إفراد الله بالعبادة.

فائدة : والعبادة والتوحيد أصلان عظيمان تتحقق صلتهما اتفاقا وافتراقا بحسب المعنى المنظور إليه فلهما حالان :

- اتفاقهما إذا نُظر إلى إرادة القرب أي قصد القلب إلى العمل تقربا إلى الله فيكونان حينئذ متحدين في المسمى ولا يقال مترادفين فكل عبادة يتقرب بها إلى الله فهي توحيد له وهذا معنى قول المصنف :" فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد " ف " أل " في العبادة عنا عهدية يراد بها ما أمر به شرعا.

(1) الحجة في بيان المحجبة 1 /305.

- افتراقهما إذا نظر إلى الأعمال المتقرب بها أي آحادها فالعبادة أعم فكل ما يتقرب به إلى الله عبادة ومن تلك القرب التوحيد وهو مختص بحق الله. [1]

فائدة : ثم نبه المصنف إلى مُفسد العبادة الأعظم وهو الشرك.

والشرك لغة هو : (شرك) الشين والراء والكاف أصلان :

أحدهما : يدل على مقارنة وخلاف انفراد.

والآخر : يدل على امتداد واستقامة.

أما الأول : فهو الشرك بالتخفيف أي بإسكان الراء وأغلب في الاستعمال يكون مصدرا واسما.

تقول : شاركته في الأمر وشركته فيه أشركه شركا بكسر الأول وسكون الثاني ويأتي : شركة بفتح الأول وكسر الثاني فيها. ويقال أشركته أي جعلته شريكا.

فهذه اشتقاقات لفظ الشرك في اللغة على الأصل الأول ويطلق حينئذ على المعاني الآتية

- المخالطة والمصاحبة والمشاركة :

ومنه قوله تعال : { **وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32)** } سورة طه : أي اجعله شريكا ومصاحبا ومخالطا.

- النصيب والحظ والقسمة :

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : من أعتق شركا له في عبد. أي حصة ونصيبا.

- ويطلق على التسوية :

قال ابن منظور : وفريضة مشتركة يستوي فيها المقتسمون.

- ويطلق على الكفر :

قال الزبيدي : ومنه قوله تعالى حكاية عن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه : { **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13)** } سورة لقمان

(1) انظر شرح العصيمي على القواعد الأربع ص 14

والشرك أن يجعل لله شريكا.

وأما الأصل الثاني : وهو الذي يدل على الامتداد والاستقامة فأيضا يطلق على معان :

- والشرك حبائل الصائد وكذلك ما ينصب للطير واحدته شركة وجمعها شرك وهي قليلة نادرة وشرك الصائد حبالته يرتبك فيها الصيد وفي الحديث وأعوذ بك من الشيطان وشركه. أي ما يدعو إليه ويوسوس به من الإشراك بالله تعالى.
- والشراك سير النعل والجمع شُرُكُ وأشرك النعل وشركها جعل لها شركا والتشريك مثله... وفي الحديث : أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر حين زالت الشمس وكان الفيء بقدر الشراك.
- وشرك الطريق الطُرُقُ التي لا تخف عليك ولا تستجمع لك فأنت تراها وربما انقطعت غير أنها لا تخفى عليك.

وقيل : وهي الطرق التي تختلج والمعنيان متقاربان. (1)

والشرك شرعا له معنيان :

- عام : وهو جعل شيء من حق الله لغيره.
- وخاص : وهو جعل شيء من العبادة لغيره الله.

وأثر الشرك على العبادة يختلف باعتبار قدره فإنه نوعان :

- شرك أكبر : وهو جعل شيء من حق الله لغيره يزول به أصله الإيمان ويفسد جميع العبادات فلا تقبل معه عبادة.
- شرك أصغر : وهو جعل شيء من حق الله لغيره يزول به كمال الإيمان.

وقد اختلف في ضابطه اختلاف كثيرا.

فائدة : الأحكام المترتبة على كل واحد منهما :

1- الشرك الأكبر يخرج من الملة والشرك الأصغر لا يخرج من الملة.

(1) مقاييس اللغة ولسان العرب وتاج العروس مادة شرك

2- الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار والشرك الأصغر لا يخلد صاحبه فيها.

3- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال والشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط العمل الذي خالطه فقط.

4- أن الشرك الأكبر صاحبه يحل دمه وماله ولا يرث الكافر قريبه المسلم ولا يرثه الكافر أما الشرك الأصغر فلا يوجب شيئا من ذلك.

5- الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة والشرك الأصغر أن صاحبه تحت المشيئة إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له.

6- الشرك الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين فلا يجوز للمؤمنين موالاته ولو كان أقرب قريب وأما الشرك الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقا بل صاحبه يحب ويوالى بقدر ما معه من التوحيد ويبغض ويعادى بقدر ما فيه من الشرك الأصغر.

7- يجتمعان في استحقاق صاحبهما للوعيد وأنهما من أكبر الكبائر.

والتفريق بين الشركين هو قول أهل السنة خلافا للخوارج ومن جرى مجراهم من أهل البدع.

فائدة : أقسام الشرك بالله :

أولا : باعتبار : الإخرج من الملة وعدمه ينقسم إلى قسمين :

1- إلى شرك أكبر مخرج من الملة.

2- وإلى شرك أصغر غير مخرج من الملة.

ثانيا : باعتبار وقوعه في أقسام التوحيد ينقسم إلى :

1- شرك في الربوبية.

2- شرك في الألوهية.

3- شرك في الأسماء والصفات.

وكلها إما أن تكون شركا أكبر أو أصغر.

ثالثا : باعتبار محله :

1- شرك في الاعتقاد.

2- شرك في الأعمال.

3- شرك في الأقوال.

رابعا : باعتبار الظهور وعدمه :

1- قد يكون ظاهرا.

2- أو خفيا.

خامسا : باعتبار منافاته لكمال التوحيد أو عدمه :

1- شرك منافي للتوحيد.

2- شرك منافي لكمال التوحيد.

فائدة : ووجه المثال الذي ضربه الشيخ :

- أن الصلاة تبطل بدون طهارة فكذا العبادة باطلة بدون توحيد.
- أن الشرك أعظم النجاسات فكما يؤمر العبد بدفع النجاسة الظاهرة عنه عند إرادة الصلاة فإنه يؤمر من باب أولى بتطهير أعماله كلها بإفراغ قلبه ولسانه وجوارحه من الشرك مخافة أن يحبط عمله.

فائدة : واعلم أن هذا تقريب من الشيخ فقط وأما في الحقيقة فإن شرط الإخلاص في العبادة أعظم من شرط الطهارة لقبول الصلاة وذلك لأن من صلى محدثا متعمدا ففي تكفيره خلاف بين العلماء وأما من عبد الله مشركا فإنه بالإجماع كافر وليس مقبول العبادة.

فائدة : وهذا الشبه بين الطهارة من الحدث والطاهرة من الشرك جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى : { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) } سورة المدثر

يحتمل أن المراد بثيابه أعماله كلها وبتطهيرها مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته من الشرك ومما ينقص الدين.

ويحتمل أن المراد بثيابه الثياب المعروفة وأنه مأمور بتطهيرها عن جميع النجاسات. [1]

فائدة : وقول الشيخ "كما أن الصلاة لا تسمى الصلاة إلا مع الطهارة " هذا تنظير للشيء بغيره وهو يشير إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول. [2]

فائدة : الصلاة لغة :

معاني الصلاة لغة :

- الدعاء.
- والتبريك.
- والتمجيد يقال صليت له أي دعوت له وزكيت.
- اللزوم يقال : قد صلي واصطلى إذا لزم ومن هذا : من يصلى في النار أي يلزم النار.
- بمعنى الاستغفار.
- الثناء.
- أصل الصلاة انحناء وانعطاف.
- أصل الصلاة في اللغة التعظيم.

---

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تفسير سورة المدثر-
(2) رواه مسلم رقم 224

- وقيل : من التقرب من قولهم شاة مصلية وهي التي قربت إلى النار.
- وقيل : هي الإقبال على الشيء..
- وقيل : الصلاة مشتقة من الصلوين تثنية الصلا وهو ما عن يمين الذنب وشماله قاله الجوهري.
- وقيل : مشتقة من المصلى وهو الفرس الثاني من خيل السباق لأن رأسه تلي صلوي السابق.
- وقيل : هي مشتقة من صليت العود على النار إذا قومته.
- وقيل : من الرحمة.
- وقيل : من الصلى وهو دخول النار.

فائدة : الطهارة لغة :

بفتح الطاء فعالة من التطهر وفي اللغة: النظافة والنزاهة عن الأقذار والخلوص من الأوساخ أو الأدناس الحسية كالأنجاس من بول وغيره والمعنوية كالعيوب والمعاصي.

وهي في الشرع : فعل ما يستباح به الصلاة.

فائدة : الحدث لغة : الشيء الحادث وهو ينقسم إلى قسمين :

- حدث أكبر.
- وحدث أصغر وكلاهما يفسد الطهارة.

فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48) } سورة النساء

وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه :

فائدة : مراد الشيخ بالشرك هنا الشرك في العبادة وصرفها لغير الله تعالى وهو الشرك الأكبر.

فائدة : وفي قوله : " خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل " بيان أن الشرك الأكبر يفسد العبادة في نفسها التي خالطها ويحبط الأعمال التي قبلها وإن كانت صالحة وعملها قبل الشرك.

فائدة : ذكر ابن القيم : أن حبوط العمل على نوعين : عام وخاص.

- فالعام حبوط الحسنات كلها بالردة والسيئات كلها بالتوبة.
- والخاص حبوط السيئات والحسنات بضعها ببعض وهذا حبوط مقيد جزئي.[1]

فائدة : وللشرك آثار وأضرار كثيرة منها ولذلك كان أعظم الذنوب :

1- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال.

قال تعالى : **{ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (88) }** سورة الأنعام

وقال تعالى: **{لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) }** سورة الزمر

2- الشرك الأكبر لا يغفره الله لمن لم يتب منه.

قال تعالى : **{ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48) }** سورة النساء

3- الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار.

(1) الصلاة وحكم تاركها ص 86

قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6)} سورة البينة

4- الشرك إفتراء عظيم.

قال تعالى : { وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48) } سورة النساء

5- الشرك ضلال بعيد.

قال تعالى : { وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا (116) } سورة النساء

قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيدًا (167)} سورة النساء

6- الشرك يمنع من الثبات.

قال تعالى : { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء (27) } سورة الرعد

7- الشرك هو السبب الأعظم لحصول الكربات في الدنيا والآخرة.

قال تعالى : { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) } سورة طه

8- الشرك يمنع من الأمن والهداية في الدنيا والآخرة.

قال تعالى:{ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (82) } الأنعام

9- الشرك يسبب الرعب في قلوب أصحابه.

قال تعالى : { سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (151) } سورة آل عمران

10- الشرك الأكبر يوجب الله لصاحبه النار ويحرم عليه الجنة.

قال تعالى : { إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (72) } سورة المائدة

11- الشرك أعظم الظلم.

قال الله سبحانه وتعالى يحكي قول لقمان لابنه: {**يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** (13)} سورة لقمان

فإذا كان الشرك بهذه الخطورة فإنه يوجب على العبد معرفته والخوف منه عسى أن ينجو من حباله التي ينصبها الشيطان للخلق والأمر بمعرفته أمر بمعرفة التوحيد فلا تكمل معرفة العبد بالشرك إلا بمعرفته وهو المقدم في الطلب.

فائدة : وفي قوله " **لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله** " فائدة وثمرة من ثمار دراسة التوحيد وهي الحرص على التخلص من الشرك.

فائدة : قوله " من هذه الشبكة "

وفي تعبير الشيخ بالشبكة فائدتين :

- كأن الشرك مصيدة فمن وقع فيها هلك ومن وقع في الشرك عسر عليه أن يتخلص منه إلا من رحم الله فلا ينبغي على العبد أن يتساهل في أمر الشرك فإنه من وقع في يسيره أوشك أن يقع في عظيمه.
- معروف أن الشبكة فيها خيوط كثيرة فكذلك الشرك له فروع كثيرة وأنواع كثيرة وأبواب عديدة.

وهو تعبير لطيف يناسب التخويف من الشرك والحذر منه والحث على العناية بالتوحيد والاهتمام به.

ثم اعلم أن أصل شبكة الشرك والتي أوقعت صاحبها في الضلال قائمة على :

- سوء الظن بالله تعالى.
- وعدم تقدير الله حق قدره.
- وتقليد الأسلاف.

- والغلو.
- وعلماء السوء.

فائدة : اختلف المفسرون في الشرك المراد في **قوله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48) } النساء**

هل المراد بالشرك هنا الأكبر أم مطلق الشرك ؟

قال بعض العلماء : إنه مطلق يشمل كل شرك ولو أصغر كالحلف بغير الله فإن الله لا يغفره أما بالنسبة لكبائر الذنوب كالسرقة والخمر فإنها تحت المشيئة فقد يغفرها الله

وشيخ الإسلام ابن تيمية المحقق في هذه المسائل اختلف كلامه في هذه المسألة فمرة **قال**: الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر وهذا القول عليه أكثر علماء الدعوة.

ومرة قال : الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك الأكبر.

فيكون قوله هنا : { **لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ** } دال على العموم لكنه عموم مراد به خصوص الشرك الأكبر فالمقصود بالشرك في قوله : { **لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ** } هو : الشرك الأكبر فقط دون غيره وأما ما دون الشرك الأكبر فإنه يكون داخلا تحت المشيئة فيكون بالعموم في الآية مرادا به الخصوص.

لأنه غالبا ما يرد في القرآن هذا اللفظ : { **أَنْ يُشْرَكَ بِهِ** } ونحو ذلك ويراد به الشرك الأكبر دون الأصغر وهذا في الغالب فالشرك غالبا ما يطلق في القرآن على الأكبر دون الأصغر ومن شواهد ذلك قوله جل وعلا : { **وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72)** } سورة المائدة

فقوله في الآية : يُشْرَكَ هو – أيضا – : فعل داخل في سياق الشرط فيكون عاما لكن

هل يدخل فيه الشرك الأصغر والخفي ؟

الجواب : أنه لا يدخل بالإجماع لأنه تحريم الجنة وإدخال النار والتخليد فيها إنما هو

لأهل الموت على الشرك الأكبر فدلنا ذلك على أن المراد بقوله : { **إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** } سورة المائدة

أهل الإشراك بالله الشرك الأكبر فلم يدخل فيه الأصغر ولم يدخل ما دونه من أنواع الأصغر.

و كقوله في سورة الحج { **وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31)** } سورة الحج

فهذا ونحوه وارد في الشرك الأكبر أيضا فيكون – على هذا القول – المراد بما نُفي هنا في قوله : { لَا يَغْفِرُ أَنْ } الشرك الأكبر.

وعلى كل حال فيجب الحذر من الشرك مطلقا لأن العموم يحتمل أن يكون داخلا فيه الأصغر لأن قوله: " أن يشرك به " أن وما بعدها في تأويل مصدر تقديره: إشراكا به فهو نكرة في سياق النفي فتفيد العموم.

قوله: {**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ** } المراد بالدون هنا: ما هو أقل من الشرك وليس ما سوى الشرك. (1)

ما هو اختيار الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟

والذي اختاره إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب هو ما اختاره عدد من المحققين :

كشيخ الإسلام : ابن تيمية وابن القيم وغيرهما أن العموم هنا شامل لأنواع الشرك : الأكبر والأصغر والخفي لأن الشرك : أنواع وإذا كان الشرك بأنواعه لا يغفر فهذا يوجب الخوف منه أعظم الخوف. (2)

وهذه الآية من أعظم ما يوجب الخوف من الشرك لأن الله تعالى قطع المغفرة عن المشرك وأوجب له الخلود في النار وأطلق ولم يقيد ثم قال: { **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** }

(1) انظر القول المفيد 1/110-111 والتمهيد لشرح كتاب التوحيد ص 53-54
(2) انظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص 54

فخصص وقيد فيما دون الشرك فهذا الذنب الذي هذا شأنه لا يأمن أن يقع فيه فلا يرجى له معه نجاة إن لم يتب منه قبل الوفاة. (1)

ولا يجوز أن يحمل قوله : { وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } على التائب فإن التائب من الشرك مغفور له كما قال تعالى : { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) } الزمر

فهنا عمم وأطلق لأن المراد به التائب وهناك خص وعلق لأن المراد به من لم يتب. (2)

وهل يلزم من عدم المغفرة دخول النار ؟

لا يلزم. لأن المغفرة معناها الستر والتجاوز مأخوذة من المغفر وهو الذي يستر به الناس الرأس.

فمعنى ذلك أنه يؤاخذ ويعذب ولكن لا يلزم أن يعذب في النار فقد يعذب في القبر أو في عرصات المحشر أو غير ذلك.

فائدة : يستفاد من الآية :

1- فيها : وجوب الخوف من الشرك.

2- وفيها : أن الشرك أعظم الذنوب.

3- وفيها : أن الشرك لا يغفر.

4- وفيها : الرد على الخوارج المكفرين بالذنوب.

5- وفيها : الرد على المعتزلة القائلين بأن أصحاب الكبائر يخلدون في النار وليسوا عندهم بمؤمنين ولا كفار.

6- وفيها : أن كل صاحب كبيرة في مشيئة الله عز وجل إذا لم يتب منها.

---

(1) قرة عيون الموحدين ص 31
(2) فتح المجيد ص 83

فائدة : وفي قوله " وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه "

بيان للمنهج الذي سار عليه الشيخ في ذكر هذه القواعد الأربع وأنها مستقاة من كتاب الله فلم يأت بها من عنده.

وهذه هي الطريقة الصحيحة التي ينبغي أن يسير عليها المسلم.

القاعدة الأولى : أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقِرُّون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

والدليل قوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31) } سورة يونس

فائدة : مقصود الشيخ من هذه القاعدة أمرين :

- أن أهل الشرك والوثنية في الجاهلية كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ويعترفون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر وهناك أدلة كثيرة على ذلك منها :

كقوله تعالى : { **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (61) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (62) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (63)** } سورة العنكبوت

وقال تعالى : { **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (25)** } سورة لقمان

وقال تعالى : { **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (38)** } سورة غافر

وقال تعالى : { **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (9)**} سورة الزخرف

وقال تعالى : { **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (87)**} سورة الزخرف

- أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام ولم يعصم دماءهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاتلهم وأثبت أنهم كفار فلو كانوا مسلمين بإقرار بالربوبية لما طالبهم بالإسلام ولما قاتلهم.

قال تعالى : { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106) } سورة يوسف

فهم وإن أقروا بربوبية الله تعالى وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور فإنهم يشركون في ألوهية الله وتوحيده.

فائدة : والدليل الذي ذكره الشيخ رحمه الله يدل على الأمرين معا :

- أما الأول فواضح.
- وأما الثاني : فهو إنكار الله عليهم عبادة غيره إذ قال سبحانه : { **أَفَلَا تَتَّقُونَ**} أي أفلا تتقون ربكم فتخلصون له العبادة.

فمطالبتهم بتوحيد الألوهية دليلُ عدم انتفاعهم بتوحيد الربوبية.

لأن الإسلام الحق يستلزم بأن يوحد العبد ربه توحيدا تاما بأقسامه الثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

فالتوحيد ليس هو الإقرار بالربوبية فحسب والشرك ليس هو الشرك في الربوبية فحسب فكل الأمم تقر بتوحيد الربوبية فلم يشركوا فيه أو يجحده إلا مكابر معاند.

فائدة : ينبغي تقييد إقرار المشركين بتوحيد الربوبية بقيدين :

الأول : أن إقرارهم بتوحيد الربوبية مجمل من جهتين :

- من جهة الإقرار : حيث وجد عند بعضهم إنكار لبعض أفراد الربوبية ومن ذلك إنكارهم البعث.
- من جهة الأفراد : فبعض الكفار وجد عنده إنكار لبعض أفراد الربوبية.

وعليه : فإن أكثر الكفار يقرون بأكثر أفراد الربوبية ويوجد عند بعضهم إنكار لبعض أفراد الربوبية.

الثاني : إن إقرارهم بتوحيد الربوبية ليس كإقرار المؤمنين بل هو إقرار ناقص لو كان حقيقة لعملوا بمقتضاه.

فائدة : وفي هذه القاعدة رد على من أنكر تقسيم التوحيد.

وفيها : أن توحيد الربوبية لا ينفع وحده.

وفيها : بيان حقيقة شرك كفار العرب.

وفيها : أن توحيد العبادة هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء وأممهم وأن الشرك في توحيد الألوهية هو الغالب في الأمم والأكثر وقوعا فيها.

وفيها : رد على من يقول أن التوحيد أن تعتقد أن الله هو الرازق الخالق المدبر وأن هذا هو التوحيد الذي جاءت به الرسل وأنزلت من أجله الكتب.

وبهذه القاعدة يعلم خطأ : من قال أن معنى لا إله إلا الله هو لا خالق ولا رازق إلا الله وهذه التفسير باطل لأنه يلزم منه :

- أن الرسل لم يدعوا إلى توحيد العبادة بل دعوا إلى توحيد الربوبية وهذا فيه رد على القرآن وفيه طعن في حكمة الله وذلك أنه أرسل رسله عبثا.
- أن الكفار الذين ماتوا على الكفر ماتوا على التوحيد وأن قتلهم كان ظلما.

فائدة : تفسير الآية :

يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية الإله فقال: { **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** } أي: من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر فيشق الأرض شقا بقدرته ومشيئته فيخرج منها { **حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا** } أإله مع الله ؟ فسيقولون: الله { **أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ**} وكذلك قوله: { **أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ** } أي : الذي وهبكم هذه القوة السامعة والقوة الباصرة ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إياها كما قال تعالى: { **قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ** }

وقال { **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ** }

وقوله: { وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ } أي: بقدرته العظيمة ومنته العميمة وقد تقدم ذكر الخلاف في ذلك وأن الآية عامة في ذلك كله.

وقوله: { وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ } أي: من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسْألُون { يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ }

فالملك كله العلوي والسفلي وما فيهما من ملائكة وإنس وجان فقيرون إليه عبيد له خاضعون لديه { فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ } أي: هم يعلمون ذلك ويعترفون به { فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ } أي: أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم؟.

وقوله: { فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } أي: فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة { فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ } أي: فكل معبود سواه باطل لا إله إلا هو واحد لا شريك له. { فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } أي: فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء؟[1]

فائدة : الإسلام : لغة : أما لفظ الإسلام فهو من أصل لغوي ثلاثي هو (سلم) ومعظم بابه من الصحة والعافية والسلامة.

ومن معانيه في لغة العرب :

- البراءة.
- والنجاة
- والوقاية
- والدفع
- والإعطاء

(1) تفسير ابن كثير 4/266-267

- والرضا بالحكم
- والدخول في دين الإسلام.
- والانقياد.
- والإذعان وغيرها.[1]
- والاستسلام والطاعة والانقياد والخضوع تقول العرب : أسلم لله إذا انقاد وأذعن وأطاع.
- ويتضمن الإخلاص من قوله تعالى : { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (29) } سورة الزمر

وأما معنى الإسلام في الشرع فيأتي على معان عدة وباعتبارات وإطلاقات مختلفة فهو باعتبار ما أنزله الله على أنبيائه ورسله على معنيين :

الأول : بمعنى الدين المشترك والعقيدة الواحدة التي جاء بها جميع الأنبياء والمرسلين من أولهم إلى آخرهم يصدق اللاحق السابق ويبشر السابق باللاحق.

الثاني : الرسالة الشاملة الكاملة التي بعث بها خير الخلق وأفضل البشرية وأكرمها على الله محمد بن عبد الله وهي شريعة الإسلام التي ختمت بها جميع الرسالات.

قال الإمام ابن تيمية : وله معنيان :

- أحدهما: الدين المشترك.

وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذي بعث به جميع الأنبياء كما دل على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة.

- الثاني: ما اختص به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين والشرعة والمنهاج.[2]

أما باعتبار ما يتضمنه الإسلام فيأتي على معنيين :

---

(1) انظر معجم مقاييس اللغة والصحاح ولسان العرب مادة سلم. وانظر معجم الأفعال المتعدية بحرف ص 160
(2) مجموع الفتاوى 7/635-636

أحدهما : بمعنى الاستسلام والانقياد في ظاهر القول والعمل.

الثاني : الاستسلام والانقياد في الظاهر والباطن.

يقول الإمام ابن تيمية : وله مرتبتان :

أحدهما : الظاهر من القول والعمل وهي المباني الخمس.

والثاني : أن يكون ذلك الظاهر مطابقا للباطن. [1]

فائدة : أقسام الإسلام :

الاستسلام لله نوعان :

- كوني.
- شرعي.

قال العلامة ابن عثيمين : الإسلام الشرعي وهو الاستسلام لأحكام الله الشريعة وذلك أن الإسلام لله تعالى نوعان :

الأول: إسلام كوني وهو الاستسلام لحكمه الكوني وهذا عام لكل من في السماوات والأرض من مؤمن وكافر وبر وفاجر لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه.

ودليله قوله تعالى: { **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)** } سورة آل عمران

الثاني: إسلام شرعي وهو الاستسلام لحكمه الشرعي وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل وإتباعهم بإحسان ودليله في القرآن كثير. [2]

والإسلام ينقسم من حيث الاستسلام إلى ثلاثة أقسام :

- إسلام الوجه.
- وإسلام العمل.

(1) مجموع الفتاوى 636/7
(2) شرح الأصول الثلاثة ص 57

- وإسلام القلب.

ويتقسم الإسلام أيضا باعتبار آخر إلى شرائع :

فكل نبي دينه الإسلام لكن شريعته مختلفة وقد يقال دين النصرانية دين اليهودية باعتبار التَّدَيُّن كما ذكرنا لك باعتبار الالتزام والمقصود الشريعة لكن لا يقال الأديان الثلاثة السماوية.

باعتبار آخر ينقسم الإسلام الخاص إلى ثلاثة أقسام :

- الإسلام.
- الإيمان.
- الإحسان.

وينقسم أيضا باعتبار رابع إلى :

- إسلام كامل .
- وإسلام ناقص يعني باعتبار الاستسلام.

وينقسم أيضا باعتبار خامس إلى :

- الإسلام العام.
- والإسلام الخاص هو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. (1)

وقال الكفوي : الإسلام على نوعين :

- الأول : دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان وإن لم يكف له اعتقاد وبه يحقن الدم.
- الآخر : فوق الإيمان وهو الاعتراف (أي الإقرار بالشهادتين) مع الاعتقاد بالقلب والوفاء بالفعل. (2)

---

(1) اختصارا من شرح الطحاوية صالح آل شيخ 231/2
(2) الكليات للكفوي 112

وقال الحكمي في تعريفه للإسلام : وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان :

- الحالة الأولى : أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله.

كقوله تعالى: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ... (19) } سورة آل عمران

- الحالة الثانية : أن يطلق مقترنا بالاعتقاد فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة.

كقوله تعالى: { **قَالَتْ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلْ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ... (14) } سورة الحجرات [1]

فائدة : والناس بالنسبة للاستسلام لله ثلاثة أقسام :

- لموحد : وهو من استسلم لله بإفراده بالعبادة وحده لا شريك له.
- المشرك : وهو من استسلم له و لغيره بأن عبده وعبد معه غيره.

المستكبر : وهو من لم يستسلم لله أصلا بل استنكف عن عبادة الله.

فائدة : الرزق في اللغة : العطاء والحظ.

والأرزاق نوعان : ظاهرة للأبدان كالأقوات.

وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم . [2]

وقال الراغب : الرزق يقال :

- للعطاء الجاري تارة دنيويا كان أم أخرويا.
- وللنصيب تارة.
- ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة. [3]

فائدة : السماء لغة تأتي بمعنى :

(1) معارج القبول للحكمي 2/21-22.
(2) تاج العروس مادة رزق
(3) المفردات 351-352

- العلو.
- السحاب.
- المطر وسمي المطر سماء لخروجه منها وقيل: إنما سمى سماء ما لم يقع بالأرض.
- السقف.

وسمي النبات سماء إما لكونه من المطر الذي هو سماء وإما لارتفاعه عن الأرض.

والسماء تذكر وتؤنث ويستعمل للواحد والجمع.

وقد يقال في جمعها : سماوات.

والسماء الذي هو المطر مذكر ويجمع على أسمية وسمى.

الأرض : الجرم المقابل للسماء وجمعه أرضون ولا تجيء مجموعة في القرآن ويعبر بها عن أسفل الشيء كما يعبر بالسماء عن أعلاه. (1)

فائدة : من الفوائد تحت الآية :

1- فيها : إثبات صفة الرزق له جل وعلا
2- وفيها : إثبات صفة الملك.
3- وفيها : إثبات صفة الخلق.
4- وفيها : إثبات البعث بعد الموت.
5- وفيها : إثبات التدبير وأن الله سبحانه وتعالى هو المدبر.
6- وفيها : وجوب تقوى كل ما يوقع الإنسان في هلكة لأنه لم يذكر المعمول ولا ذكر ما يتقى وهذا إطلاق يفيد العموم وأول ما يتقى الشرك.
7- وفيها : أن الله تعالى احتج عليهم بإقرارهم بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة على أنه يجب عليكم أن تعبدوا الله وتتقوه.
8- وفيها : أن توحيد الربوبية لا ينفع وحده.

(1) المفردات ص 73

القاعدة الثانية : أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة.

فدليل القربة قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3) } سورة الزمر

ودليل الشفاعة قوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ.... (18) } سورة يونس

فائدة : هذه القاعدة تعتبر أهم قواعد الرسالة فالقاعدة الأولى تعتبر توطئة لها والسبب أن ما يتعلق بتوحيد الألوهية أعظم وأهم مما يتعلق بتوحيد الربوبية.

فائدة : وخلاصة هذه القاعدة بيان شرك كفار العرب الذين بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم فلما ذكر الشيخ رحمه الله في القاعد الأولى أن كفار العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية بين هنا الخلل الموجب لسفك دمائهم واستحلال أعراضهم وهو صرفهم لأنواع من العبادات لغير الله عز وجل بقصد :

- القربة.
- والشفاعة.

وهم لم يقولوا أن آلتهم آلهة على سبيل الاستقلال.

فائدة : أسلوب هذه القاعدة أسلوب حصر والحصر هنا يفيد النفي والإثبات وهو من أقوى الدلالات.

فائدة : وأصل شرك العالم كان على أحد وجهين :

- الشرك بالاعتقاد بروحانيات الكواكب كما كان في قوم إبراهيم عليه السلام.
- شرك الاعتقاد بروحانية وأرواح الصالحين كما كان في قوم نوح عليه السلام.

والعرب ورثوا ثاني فعبدوا أصناما متعددة.

فائدة : حقيقة الدعاء : الدعاء مصدر دعا يدعو وهو لغة يأتي لمعان منها :

- النداء : يقال دعوت فلانا بفلان : ناديته وصحت به.

- السؤال : دعوت فلانا : سألته.
- الاستغاثة : دعوت فلانا استغثته والدعاء الغوث فالدعاء النداء والاستغاثة.
- الطلب : دعوت فلانا : استدعيته وطلب جلب النفع ودفع الضر.
- الحث على فعل الشيء والدعوة إليه طلبه إليه.
- السَوْق : يقال دعاه : ساقه إلى الأمير.
- التسمية : يقال دعوت الولد زيدا أو بزيد : إذا سميته بهذا الاسم.
- الجعل : { أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) } سورة مريم. أي جعلوا.
- العبادة : يطلق ويراد به العبادة.
- رفعة القدر ورفعة الذكر. [1]
- النسب.
- القول.
- التمني.
- الاستعانة. [2]
- الرغبة.
- إنزال مكروه.

اصطلاحا :

قال الطيبي : هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له. [3]

(1) انظر الشرك بين القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا ص 1148 . ط : الأولى 2002/1422 مكتبة الرشد للنشر والتوزيع . الرياض
(2) انظر الدعاء في ضوء الكتاب والسنة 13-26 لجهاد محمد سنة 1400-1401 وهي مكتوبة باليد
(3) فتح الباري 11/ 95 وهذا التعريف يتناول دعاء العبادة.

وقال المناوي : هو لسان الافتقار بشرح الاضطرار.

وقيل : هو شفيع الحاجة ونجحها باللّجاجة.

وقيل : هو طلب كشف الغمة بتطلّع موضع القسمة . [1]

فائدة : أنواع الدعاء :

وقد تنوعت عبارات العلماء في تقسيم الدعاء باعتبار معناه :

فمنهم من قسمه إلى قسمين :

- دعاء عبادة.
- ودعاء مسألة.

ومنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام :

يقول ابن القيم : الدعاء ثلاثة أنواع :

- دعاء مسألة.
- ودعاء ثناء.
- ودعاء تعبد.

ومنهم من قسمه إلى :

- دعاء توحيد وثناء.
- دعاء أمر أخروي.
- دعاء حض دنيوي.

(1) التوقيف على مهمات التعريف 166 وهذا التعريف يتناول دعاء المسألة المتضمن لدعاء الثناء والعبادة.

ومنهم من قسمه :

- دعاء عبادة.
- دعاء عادة.

ليس بين هذه التقسيمات تضاد وإنما بعضها أدق من بعض وأشمل.

شرح التقسيم الأول :

فدعاء العبادة : وهذا يكون بأي نوع من أنوع العبادة كالصلاة والصوم فإذا صلى أو صام فقد دعا ربه بلسان الحال أن يغفر له وأن يجيره من عذابه .

وصرف هذا النوع لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة.

قال تعالى: { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (18) } سورة الجن

وقال سبحانه : { فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) } سورة الشعراء

وقال صلى الله عليه وسلم : من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار. [1]

الثاني : دعاء مسألة : وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر.

وهذا القسم فيه تفصيل :

إن كان المدعو : حيا حاضرا سميعا قادرا على ذلك فليس بشرك كقولك : اسقني ماء لمن يستطيع ذلك كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال فيه (... ومن دعاكم فأجيبوه) .

وإن كان المدعو : ميتا أو غائبا لا يسمع أو غير قادر والداعي يعلم ذلك فدعاؤه شرك مخرج من الملة. [2]

فائدة : قوله ... وتوجهنا إليهم ...

(1) رواه البخاري رقم 4497
(2) انظر المجموع الثمين للشيخ محمد بن العثيمين 122/2 وحاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم ص 36

والتوجه يقصد به الأعمال والطاعات.

فائدة : قوله ... لطلب القربة...

اللام في الطلب للتعليل أي علة عبادتنا لهم ليقربونا ويشفعوا لنا عند الله.

وهنا عطف القربة على الشفاعة والعطف يقتضي المغايرة لذا نفسرها بالمغايرة ولولا نهما اجتمعا لكان كل واحد منهما يغني عن الآخر.

فائدة : القربة : هي سؤال المغفرة والنجاة من النار.

فائدة : الشفاعة لغة : اسم من شفع يشفع إذا جعل الشيء اثنين والشفع ضد الوتر قال تعالى:{ **وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ** }

وحقيقة الشفاعة في اللغة هي السؤال والدعاء أي سؤال الشافع للمشفوع له في حاجة ما وطلب ذلك.

فمن قال لأحد اشفع لي عند فلان يعني اسأل لي واطلب لي توسط لي ونحو ذلك.

ومن معانيها في اللغة : الاقتران أو الضم فمثلا هذه الأعداد تسمى الأعداد الشفعية فتقول : شفعت هذا بهذا ضممت هذا إلى هذا فالواحد وترا لكن الاثنان شفعا لأنك ضممت واحد إلى واحدا فأصبحت شفعا.

واصطلاحا : التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

فائدة : والفرق بين طلبهم القربة وطلبهم الشفاعة أنهم يبتغون بالقربة إحراز الرفعة والكمالات ويبتغون بالشفاعة دفع النقائص المعيبات.

فائدة :

أولا : إبطال السبب الأول فيما تضمنه الدليل الذي ساقه الشيخ :

- أن الله سبحانه سمى صنيعهم عبادة والأصل أن العبادة حق الله وحده لا شريك لها.

- أنه نسبهم إلى الكذب في دعواهم أن لله أولياء.
- أن الله توعدهم الوعيد الشديد والتهديد القوي.
- تسجيل الكفر عليهم وأنه هو الذي حرمه من الهداية.

ثانيا : إبطال السبب الثاني فيما تضمنه الدليل الذي ساقه الشيخ :

- أن الله سبحانه سمى صنيعهم عبادة والأصل أن العبادة حق الله وحده لا شريك لها.
- أن الله سبحانه نزه نفسه أن يكون له شريك أو نظير.
- وأنه سبحانه سمى فعلهم شركا.

فائدة : دلت الآيتان على :

- أن صرف العبادة لغير الله طلبا للشفاعة والقرب من الله هو دين المشركين.
- أن اتخاذ الشفعاء بين العبد وربه شرك وكفر شديد وتنقص لرب العالمين ويدل على ذلك أنه في ختام الآيتين قرر ذلك.

قال تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3)** } سورة الزمر

وقال تعالى : { **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (18)** } سورة يونس

فائدة : وقد أبطل الله الشفاعة التي يرجوها المشركون من آلهتهم بأربعة مسالك :

- نفي وقوع الشفاعة من آلتهم.

قال تعالى : { **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (12) وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاء وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (13)** } سورة الروم

- نفي ملك آلتهم الشفاعة.

قال تعالى : { **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ (43) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (44)** } سورة الزمر

- امتناع شفاعة الشفعاء إلا من بعد إذن الله ورضاه.

قال تعالى : {وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (23) } سورة سبأ

- إبطال انتفاعهم بشفاعة الشافعين.

قال تعالى : {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (48) } سورة المدثر

فائدة : سبب اتخاذ الشفعاء :هو أن المتخذ للشفعاء والأنداد :

- إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو معين وهذا أعظم التنقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته وكل ما سواه فقير إليه بذاته.
- وإما أن يظن أن الله سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشفيع.
- وإما أن يظن أنه لا يعلم حتى يعلمه الشفيع أو لا يرحم حتى يجعله الشفيع يرحم أو لا يكفي وحده أو لا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده كما يشفع عند المخلوق أولا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الشفيع أن يرفع حاجتهم إليه كما هو حال ملوك الدنيا وهذا أصل شرك الخلق.
- أو يظن أنه لا يسمع حتى يرفع الشفيع إليه ذلك.
- أو يظن أن للشفيع عليه حقا فهو يقسم عليه بحقه ويتوسل إليه بذلك الشفيع كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم ولا تمكنهم مخالفته.

كل هذا تنقص للربوبية وهضم لحقها. [1]

فائدة : تفسير الآية الأولى :

{ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ } أي : يتولوهم بعبادتهم ودعائهم معتذرين عن أنفسهم

(1) تيسير العزيز الحميد 500/2

وقائلين: { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } أي: لترفع حوائجنا لله وتشفع لنا عنده وإلا فنحن نعلم أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تملك من الأمر شيئا.

أي : فهؤلاء قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص وتجرأوا على أعظم المحرمات وهو الشرك وقاسوا الذي ليس كمثله شيء الملك العظيم بالملوك وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم أن الملوك كما أنه لا يوصل إليهم إلا بوجهاء وشفعاء ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم ويستعطفونهم عليهم ويمهدون لهم الأمر في ذلك أن الله تعالى كذلك.

وهذا القياس من أفسد الأقيسة وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق مع ثبوت الفرق العظيم عقلا ونقلا وفطرة فإن الملوك إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين رعاياهم لأنهم لا يعلمون أحوالهم فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة فيحتاج من يعطفهم عليه ويسترحمه لهم ويحتاجون إلى الشفعاء والوزراء ويخافون منهم فيقضون حوائج من توسطوا لهم مراعاة لهم ومداراة لخواطرهم وهم أيضا فقراء قد يمنعون لما يخشون من الفقر.

وأما الرب تعالى فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته وعباده وهو تعالى أرحم الراحمين وأجود الأجودين لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحما لعباده بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون بها رحمته وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم وهو الغني الذي له الغنى التام المطلق الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد فسألوه فأعطى كلا منهم ما سأل وتمنى لم ينقصوا من غناه شيئا ولم ينقصوا مما عنده إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط.

وجميع الشفعاء يخافونه فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه وله الشفاعة كلها.

فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به وسفههم العظيم وشدة جراءتهم عليه.

ويعلم أيضا الحكمة في كون الشرك لا يغفره الله تعالى لأنه يتضمن القدح في الله تعالى ولهذا قال حاكما بين الفريقين المخلصين والمشركين وفي ضمنه التهديد للمشركين-: { **إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** }

وقد علم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. { **إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي** } أي: لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم { **مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** } أي: وصفه الكذب أو الكفر بحيث تأتيه المواعظ والآيات ولا يزول عنه ما اتصف به ويريه الله الآيات فيجحدها ويكفر بها ويكذب فهذا أنَّى له الهدى وقد سد على نفسه الباب وعوقب بأن طبع الله على قلبه فهو لا يؤمن. [1]

فائدة : تفسير الآية الثانية : يقول تعالى: { **وَيَعْبُدُونَ** } أي: المشركون المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

{ **مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ** } أي: لا تملك لهم مثقال ذرة من النفع ولا تدفع عنهم شيئا.

{ **وَيَقُولُونَ** } قولا خاليا من البرهان : { **هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ** } أي : يعبدونهم ليقربوهم إلى الله ويشفعوا لهم عنده وهذا قول من تلقاء أنفسهم وكلام ابتكروه هم ولهذا قال تعالى – مبطلا لهذا القول – : { **قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ** } أي : الله تعالى هو العالم الذي أحاط علما بجميع ما في السماوات والأرض وقد أخبركم بأنه ليس له شريك ولا إله معه أفأنتم–يا معشر المشركين – تزعمون أنه يوجد له فيها شركاء ؟ أفتخبرونه بأمر خفي عليه وعلمتوه ؟ أأنتم أعلم أم الله ؟ فهل يوجد قول أبطل من هذا القول المتضمن أن هؤلاء الضلال الجهال السفهاء أعلم من رب العالمين ؟ فليكتف العاقل بمجرد تصور هذا القول فإنه يجزم بفساده وبطلانه : { **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** }

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 718-719

أي : تقدس وتنزه أن يكون له شريك أو نظير بل هو الله الأحد الفرد الصمد الذي لا إله في السماوات والأرض إلا هو وكل معبود في العالم العلوي والسفلي سواه فإنه باطل عقلا وشرعا وفطرة. [1]

فائدة : والغرض من إيراد هذه القاعدة :

- بيان حال المشركين في عبادتهم وفي الذي يقصدونه بعبادتهم.
- الرد على من يقول أن شرك الأوائل إنما كان في الربوبية.
- الرد على من يقول أن الصالحين لهم جاه عنده الله فنطلب منهم لأنهم أقرب منها إلى الله ونحن أصحاب ذنوب.
- بيان أن شبهة المتأخرين في الشرك هي شبهة الأولين ولم يعذرهم الله بهذا بل جعلهم مشركين فكذلك يقال للمشركين المتأخرين: إن هذه الأعذار لا تنفعكم عند الله كما لم تنفع من قبلكم وأنهم مثلهم فهلا اعتبرتم وتركتم الشرك.
- بيان أن حجتهم في الشرك ألا وهي الشفاعة حجة داحضة فالواجب على المشركين المتأخرين تركها وعدم الاعتماد عليها.
- بيان أن الكفار لا يعبدون الأصنام والأشجار والصالحين لذواتهم وإنما لأجل التوسط عند الله في إدخالهم الجنة وإبعادهم عن النار.
- بيان أنه لا حاجة إلى الوسائط المحرمة لجلب المصالح ودفع المضار بل يتوجه العبد إلى ربه.
- أن صرف العبادة لغير الله طلبا للشفاعة والقرب من الله شرك وهي دين المشركين.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 360

المتن : والشفاعة شفاعتان : شفاعة منفية وشفاعة مثبتة.

فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

والدليل قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (254) } سورة البقرة

والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله والشافع مكرم بالشفاعة والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن كما قال تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ....(255) }

فائدة : وإنما أورد الشيخ أقسام الشفاعة حتى لا يظن تعارض ما أورد المصنف من أدلة في نفي الشفاعة بأدلة أخرى تثبت الشفاعة فبين – رحمه الله – أن الشفاعة في الكتاب والسنة شفاعتان :

1- شفاعة منفية.
2- وشفاعة مثبتة.

فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

والدليل قوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ }** سورة البقرة

والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله والشافع مكرم بالشفاعة والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن كما قال تعالى : **{ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ }**

فائدة : الشفاعة المنفية نوعان :

- شفاعة منفية عن الشافع ومنها المنفية عن آلهة المشركين.
- وشفاعة منفية عن المشفوع له ومنها الشفاعة للكافر.

فائدة : والشفاعة المثبتة نوعان أيضا :

- المثبتة للشافع ومنها شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم.
- المثبتة للمشفوع له ومنها الشفاعة لأهل الكبائر.

فائدة : شروط الشفاعة المثبتة :

- الإذن بالشفاعة.

والدليل قوله تعالى : { **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**... (255) } سورة البقرة

- الرضا عن الشافع.
- الرضا عن المشفوع له.

والدليل قوله تعالى : { **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** (28) } سورة الأنبياء

وقد جمعت هذه الشروط في قوله تعالى : { **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى** (26) } سورة النجم

وبعضهم يزيد شرطين آخرين وهما :

- قدرة الشافع على الشفاعة.

كما قال تعالى في حق الشافع الذي يطلب منه : { **وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** (86) } سورة الزخرف

- إسلام المشفوع له.

قال تعالى : { **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ** (18) } سورة غافر

والمراد بالظالمين هنا الكافرون ويستثني منهم أبو طالب.

وفي الحقيقة هذان الشرطان داخلان في الشروط السابقة.

فائدة : الشفاعة في أحكامها قسمان :

1- شفاعة في الدنيا.
2- وشفاعة في الآخرة.

فائدة : تنقسم الشفاعة المثبتة باعتبار العموم والخصوص :

1- شفاعة عامة : شفاعة عامة لكل موحد.

2- شفاعة خاصة : وهي خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيها أحد.

فائدة : والشفاعة الخاصة تنقسم إلى :

1- الشفاعة العظمى : وهي الشفاعة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف.

2- الشفاعة في عمه أبي صالب أن يخفف عنه العذاب.

3- الشفاعة في فتح أبواب الجنة.

4- شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر :

والدليل قوله صلى الله عليه وسلم «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وهذه الشفاعة نوعان :

أ - النوع الأول : قوم أهل كبائر رجحت سيئاتهم على حسناتهم فأمر بهم إلى النار فيشفع فيهم صلى الله عليه وسلم في أن لا يدخلوا النار فيشفع فيهم صلى الله عليه وسلم.

ب - النوع الثاني : في أقوام دخلوا النار فيشفع فيهم صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا منها فيخرجون منها كأنهم الحمم فيوضعون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل.

5- شفاعته صلى الله عليه وسلم في أن يدخل أقوام الجنة بغير حساب ولا عذاب :

وهذه يستدل لها بقول عكاشة في حديثه : يا رسول الله أدعوا الله أن يجعلني منهم. قال : أنت منهم.

6- شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات بعض أهل الجنة.

ويستدل لها بقوله صلى الله عليه وسلم لما صلى على أبي سلمة : اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين.

فقوله «وارفع درجته» دعاء في الدنيا له وهذا معنى الشفاعة.

7- شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم وصاروا على الأعراف في أن يعفوا الله عنهم ويدخلهم الجنة.

فائدة : أقسام الناس في الشفاعة :

الناس في الشفاعة ثلاثة أقسام :

- القسم الأول : عمموها وجعلوها تقع بلا شروط.

وهؤلاء هم المشركون الذين زعموا أن أصنامهم تشفع لهم وتبع هؤلاء المشركون في كل طبقة من طبقات الناس الذين يتعلقون بالمخلوقين كالذين يدعون الأولياء أو الأنبياء أو غيرهم ويزعمون أنهم إذا دعوهم شفعوا لهم ولو لم يأذن الله ولم يرض وهذا القسم قد أبطله القرآن صراحة وهو ضلال.

- القسم الثاني من الناس : الذين آمنوا ببعض وردوا بعضا منهم :

الخوارج والمعتزلة ونحوهم فهؤلاء آمنوا ببعض الشفاعات وردوا بعضها الآخر فالشفاعة الكبرى التي لا يدخل فيها أحد النار أو الجنة وإنما هي لأجل الجزاء والمحاسبة هذه أقروا بها والشفاعة التي تكون لافتتاح الجنة لأهل الجنة لأنها ليس فيها لهم نجاة من نار ولا منع عقاب استحقوه وإنما دخولهم الجنة بأعمالهم أقروا بها أما الذي يدخل الجنة فلا مانع بأن يشفع له فيرتفع في الدرجات هذه الأمور أقروا بها أما الشفاعة فيمن يستحق النار ألا يدخلها أو فيمن دخلها أن يخرج منها فهذه أنكروها وبذلك ضلوا.

- القسم الثالث : الذين اتبعوا النصوص وهم أهل الحق أهل السنة الذين اتبعوا النصوص وقالوا بمقتضاها.

فائدة : **وفي قوله : والشافع مكرم بالشفاعة** فائدتان :

- ظهور فضل الشافع على المشفوع له.
- ظهور منزلة الشافع عند الله تعالى.

فائدة : يستخلص :

- أن الشفاعة نوع من الدعاء.
- أنها ملك لله جميعا.
- أنها ينبغي أن تطلب من الله.
- أن من دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك.

والقاعدة الثالثة : أن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر على أناس متفرقين في عبادتهم : منهم من يعبد الملائكة.

ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين.

ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار.

ومنهم من يعبد الشمس والقمر.

وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بينهم.

والدليل قوله تعالى : {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}

ودليل الملائكة قوله تعالى : {وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً}

ودليل الأنبياء قوله تعالى : {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ}

ودليل الصالحين قوله تعالى : {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ}

ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى} وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: "خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط.

فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط". الحديث

فائدة : خلاصة هذه القاعدة :

بيان أن كفار العرب أشركوا مع الله في العبادة أناسا صالحين لا الأصنام والأحجار فحسب والداعي لهذه القاعدة أن الكفار المتأخرين المنتسبين للإسلام يرددون شبهة وهي: أنهم ليسوا مشركين لأن الكفار الأوائل يشركون مع الله الأصنام والأحجار أما نحن فنشرك معه الصالحين وفرق بينهما.

ورد الشيخ هذه الشبهة بدليلين :

1- الأول : عام.

وهو قوله تعالى : { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (39) } سورة الأنفال

ففي هذا الدليل نفي أي معبود آخر مع الله حتى ولو كان صالحا.

لأن الغاية من القتال هي :

- ذهاب الشرك حتى لا تكون فتنة ففي الشرك فتنة لما فيه من التنازع والتباغض.
- إخلاص الدين لله تعالى.

2- الثاني : خاص

وهو أنه أثبت بالدليل القاطع أن الكفار الأوائل أشركوا مع الله في العبادة الصالحين ثم أورد أدلة خاصة في عبادة الملائكة والأنبياء وعموم الصالحين.

فائدة : والغرض من إيراد هذه القاعدة :

- بيان أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى الشرك بغض النظر عن المشْرَك به فإنه لم يرتضِ جل وعلا الشرك سواء كان المشرك به ملكا أو نبيا أو وليا صالحا أو جنا أو شجرا أو حجرا أو غير ذلك فإن الله سبحانه وتعالى حرم الشرك وأخبر بأنه ظلم عظيم على اختلاف أنواعه وصوره.
- بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم حارب الشرك بجميع صوره بغض النظر عن المعبودات.
- بيان أن المشركين كانوا متفرقين في عباداتهم.
- بيان معنى الشرك وهو صرف العبادة لغير أيا كان المصروف له.
- الرد على من يزعم أن الالتجاء للصالحين ليس شركا.

- بيان شأن أهل الشرك وأنهم أهل فرقة واختلاف.
- أنه ليس في الكون معبود بحق إلا الله.

فائدة : اعلم أن المعبودين من دون الله قسمان :

- قسم بريء من هذه العبادة التي ألصقها بهم المشركون وهولاء صالحو عباد الله من الملائكة والنبيين وصالحي الجن والإنس.
- من رضي بعبادة نفسه من دون الله أو دعا الناس لعبادته فهذا طاغوت.

فائدة :

شرح : قوله تعالى : { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (39) } سورة الأنفال

{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ } أي: شرك وصد عن سبيل الله ويذعنوا لأحكام الإسلام.

{ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } فهذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين أن يدفع شرهم عن الدين وأن يذب عن دين الله الذي خلق الخلق له حتى يكون هو العالي على سائر الأديان.

{ فَإِنِ انْتَهَوْا } عن ما هم عليه من الظلم.

{ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } لا تخفى عليه منهم خافية. [1]

فائدة : يستفاد من الآية :

فيها : دليل على أن الجهاد يكون بالغزو والهجوم على الكفار في ديارهم بعد دعوتهم إلى الإسلام وليس المقصود منه الدفاع إنما المقصود من الجهاد هو: إزالة الكفر والشرك من الأرض.

وفيها : أنه فينبغي لنا أن ندعو إلى جميع أنواع التوحيد.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 320

فائدة :

شرح : قوله تعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37) } سورة فصلت

{ **مِنْ آيَاتِهِ** } الدالة على كمال قدرته ونفوذ مشيئته وسعة سلطانه ورحمته بعباده وأنه الله وحده لا شريك له

{ **اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ** } هذا بمنفعة ضيائه وتصرف العباد فيه وهذا بمنفعه ظلمه وسكون الخلق فيه.

{ **وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ** } اللذان لا تستقيم معايش العباد ولا أبداهم ولا أبدان حيواناهم إلا بهما وبهما من المصالح ما لا يحصى عدده.

{ **لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ** } فإنهما مدبران مسخران مخلوقان.

{ **وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الذي خلقهن** } أي: اعبدوه وحده لأنه الخالق العظيم ودعوا عبادة ما سواه من المخلوقات وإن كبر جرمه وكثرت مصالحه فإن ذلك ليس منه وإنما هو من خالقه تبارك وتعالى.

{ **إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** } فخصوه بالعبادة وإخلاص الدين له. [1]

فائدة : يستفاد من الآية :

- النهي عن عبادة ما سواه من المخلوقات وإن كبر جرمها وكثرت مصالحها فإن ذلك ليس منها وإنما هو من خالقها.
- بيان أن الليل والنهار والشمس والقمر من دلائل وحدانيته ووجوب عبادته.
- بيان أن هناك من الناس من يعبدون الشمس والقمر ويسجدون لهما من العرب والعجم وأن ذلك شرك باطل.
- إثبات صفة قدرة الله تعالى.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 750

- النهي عن التشبه بالكفار.

استدل بالآية الشيخ أبو إسحاق في " المهذب " على صلاة الكسوف : قال : لأنه لا صلاة تتعلق بالشمس والقمر غيرها وأخذ من ذلك تفضيلها على صلاة الاستسقاء لكونها في القرآن بخلافها. كذا في " الإكليل " .

فائدة :

ودليل الملائكة قوله تعالى : { وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (80) } سورة آل عمران

معنى أرباب : أي آلهة تعبد من دون اللّه وهذا يدل على أنهم مشركون بالألوهية لا بالربوبية .

فائدة : الملائكة : جمع مَلَك.

1- قيل : أصلها ملأك ثم حذفت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك.

والميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء.

فيكون معنى الملك : الأخذ بقوة وسميت الملائكة ملائكة لقوتها.

وقد تحذف الهاء فيقال : ملائك.

والهاء في الملائكة :

- قيل : لتأكيد الجمعية لما في التاء من الإيذان بمعنى الجماعة.
- وقيل : هي للمبالغة كعلامة ونسَّابة.

2- وقيل : أصلها مألك بتقديم الهمزة من الأَلُوكِ وهي : الرسالة ثم قدمت الهمزة وجمع.

تقول : ألكني أي تحمل رسالتي إليه.

وعليه أن الملائكة سميت ملائكة لأنهم رسل من عند الله تعالى إما بتبليغ أو تكوين.

قال ابن القيم : سموا ملائكة من الألوكة وهي الرسالة فهم رسل الله في تنفيذ أوامره.

وقد صوب ابن جرير الطبري : أنها من الألوكة فقال : والملائكة جمع مَلأكٍ غير أن أحدهم بغير الهمزة أكثر وأشهر في كلام العرب منه بالهمز.

وذلك أنهم يقولون في واحدهم: مَلَك من الملائكة فيحذفون الهمز منه ويحركون اللام التي كانت مسكنة لو هُمز الاسم....

وقد يقال في واحدهم " مألك " فيكون ذلك مثل قولهم: جَبَذ وجذب وشأمَل وشمأل وما أشبه ذلك من الحروف المقلوبة.

غير أن الذي يجب إذا سمي واحدهم "مألك" أن يجمع إذا جمع على ذلك "مآلك" ولست أحفظ جمعَهم كذلك سماعا ولكنهم قد يجمعون: ملائك وملائكة.....

فمن قال: ملأكا فهو مَفْعل من لأك إليه يَلأك إذا أرسل إليه رسالة مَلأكة ومن قال: مَألَكًا فهو مَفْعَل من ألكت إليه آلك : إذا أرسلت إليه مألَكة وألُوكًا

فسميت الملائكةُ ملائكةً بالرسالة لأنها رُسُل الله بينه وبين أنبيائه ومن أرسلت إليه من عباده.[1]

فاشتقاق الملائكة إما أن يكون من " ملك " أو من " ألك " والأقرب أنه من" ألك " وعلى كل حال فكلا المعنيين قد دل عليهما الشرع.

فالله وصفهم بالرسالة في مثل قوله تعالى :

ووصفهم بالقوة في قوله تعالى :

3- وقال النضر بن شميل : لا اشتقاق للملك عند العرب.[2]

وقال ابن الملقن : الملائكة": جمع ملك.

- فقيل : لا اشتقاق له.
- وقيل: بلى.

(1) انظر حقيقة الملائكة ص 11-13 لأحمد النجار
(2) تفسير القرطبي 263/1

- فقيل: فعل من الملك.
- وقيل: مفعل من لأك إذا أرسل.
- وقيل: من الألوكة –وهي الرسالة– .[1]

فائدة :

شرح قوله تعالى : { وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (80) } سورة آل عمران

أي: ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله، لا نبي مرسل ولا ملك مُقَرَّب { أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } أي: لا يَفْعَل ذلك؛ لأنَّ من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي (2) إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ } سورة الأنبياء

وقال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } الآية سورة النحل

وقال تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } سورة الزخرف

وقال تعالى إخبارا عن الملائكة: { وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } سورة الأنبياء[2]

فائدة :

ودليل الأنبياء قوله تعالى : {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ}

- فيها : رد على من زعم أن الشرك مقصور على عبادة الأصنام.
- أن عبادة الأنبياء شرك.

(1) المعين على تفهم الأربعين ص 110
(2) تفسير ابن كثير 67/2

- رد على من النصارى الذين غلوا في عيسى عليه السلام.
- توبيخ وفضح هولاء على رؤوس الملإ.
- أن عيسى وأمه عليهما السلام برآء من هولاء.

فائدة : تعريف النبي لغة :

أما لغة فخلاصة تعريفات أهل اللغة للنبي تتلخص في ثلاثة أقوال :

- أنه مشتق من النبأ يجمع على نُباء أي : أن معناه المنبئ عن الله المبلغ شرعه بالهمز وبدونه وهذا التعريف عليه أكثر أهل اللغة.
- أنه مشتق من النبو وهو الارتفاع والنبي على هذا التعريف معناه : المفضل على سائر الناس برفع منزلته فهو ارتفع على الخلق وعلا قدره فيهم. وعلى هذا التعريف مجموعة من أهل العلم. (1)
- قيل النبأ معناه الطريق وسمي النبي به لأنه طريق إلى الهدى.

والتعريفات الثلاثة صحيحة فإن الأنبياء هم المصطفون بالوحي من الله المبلغون شرعه السائرون عليه.

فائدة :

شرح قوله تعالى : {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}

واختلف أهل التأويل في معنى هذا السؤال وليس هو باستفهام وإن خرج مخرج الاستفهام على قولين:

أحدهما: أنه سأله عن ذلك توبيخا لمن ادعى ذلك عليه ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب وأشد في التوبيخ والتقريع.

---

(1) انظر لسان العرب ومعجم مقاييس اللغة ومختار الصحاح- مادة نبأ - وانظر اشتقاق الأسماء للزجاجي ص294.

الثاني: قصد بهذا السؤال تعريفه أن قومه غيروا بعده وادعوا عليه ما لم يقله.

فإن قيل: فالنصارى لم يتخذوا مريم إلها فكيف قال ذلك فيهم؟

فقيل: لما كان من قولهم أنها لم تلد بشرا وإنما ولدت إلها لزمهم أن يقولوا إنها لأجل البعضية بمثابة من ولدته فصاروا حين لزمهم ذلك بمثابة القائلين له.

وبدأ بالتسبيح قبل الجواب لأمرين :

أحدهما : تنزيها له عما أضيف إليه.

الثاني : خضوعا لعزته وخوفا من سطوته.

ويقال: إن الله تعالى لما قال لعيسى: { **أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**} أخذته الرعدة من ذلك القول حتى سمع صوت عظامه في نفسه فقال: { **سُبْحانَكَ**} ثم قال: {**ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ**}أي أن ادعى لنفسي ما ليس من حقها يعني أنني مربوب ولست برب وعابد ولست بمعبود.

ثم قال: { **إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ**} فرد ذلك إلى علمه وقد كان الله عالما به أنه لم يقله ولكنه سأله عنه تقريعا لمن اتخذ عيسى إلها.

ثم قال: { **تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ**} أي تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك.

وقيل: المعنى تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم.

وقيل: تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه.

وقيل: تعلم ما أريد ولا أعلم ما تريد

وقيل: تعلم سري ولا أعلم سرك لان السر موضعه النفس.

وقيل: تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في دار الآخرة قلت: والمعنى في هذه الأقوال متقارب أي تعلم سري وما انطوى عليه ضميري الذي خلقته ولا

أعلم شيئا مما استأثرت به من غيبك وعلمك.

{ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ } ما كان وما يكون وما لم يكن وما هو كائن.[1]

فائدة : يستفاد من الآية :

فيها : بيان أن المشركين خالفوا ما أمر الله به رسله من توحيده الذي هو دينهم الذي اتفقوا عليه ودعوا الناس إليه وفارقوا فيه إلا من آمن.

وفيها : كمال أدب المسيح عليه الصلاة والسلام في خطابه لربه.

فائدة : شرح قوله تعالى : { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً (57) } سورة الإسراء

أي : هؤلاء الذين تدعونهم هم أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب فكيف تدعونهم وهم محتاجون مفتقرون ؟ فهذا سفه في الحقيقة وهذا ينطبق على كل من دعي وهو داع كعيسى بن مريم والملائكة والأولياء والصالحين وأما الشجر والحجر فلا يدخل في الآية.[2]

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ ....

أي : يطلبون.

فيه تفسير التوحيد لأن معنى يَدْعُونَ يعبدون فهم إنما يطلبون حاجتهم من الله جل وعلا فلا يعبدون غير الله بنوع من العبادات ولا يتوجهون بها لغير الله.

إِلَى رَبِّهِمُ...

وجاء بلفظ الربوبية دون لفظ الألوهية قوله تعالى { **يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ** } ولم يقل: يبتغون إلى الله الوسيلة لأن إجابة الدعاء والإثابة هي : من مفردات الربوبية لأن ربوبية الله على خلقه تقتضي أن يجيب دعاءهم وأن يعطيهم سؤلهم.

(1) انظر تفسير القرطبي 376/6
(2) انظر القول المفيد 144/1

الْوَسِيلَةَ....

والوسيلة معناها في الأصل السبب الذي يوصل إلى المقصود فالسبب الذي يوصل إلى المقصود يسمى: وسيلة.

أي: الشيء الذي يوصلهم إلى الله يعني: يطلبون ما يكون وسيلة إلى الله سبحانه وتعالى أيهم أقرب إلى الله وكذلك أيضا يرجون رحمته ويخافون عذابه.

فالوسيلة هنا معناها : الطاعة والعبادة وليس معناها ما يظنه القبوريون والمخرفون أن الوسيلة معناها: أن تجعل بينك وبين الله شخصا يرفع حوائجك إلى الله هذه هي الوسيلة عند المشركين قديما وحديثا كما يتخذ الناس الوسائط عند الملوك وعند السلاطين قاسوا الله جل وعلا بالخلق. (1)

فظهروا من قوله : { يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ } أن فيها تفسير التوحيد وهو أن كل حاجة من الحاجات إنما تنزلها بالله جل وعلا

أَيُّهُمْ أَقْرَبُ...

فيه بيان لحال خاصة عباد الله.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : في هذه الآية ذكر المقامات الثلاث :

1. الحب وهو ابتغاء التقرب إليه والتوسل إليه بالأعمال الصالحة.
2. والرجاء.
3. والخوف.

وهذا هو حقيقة التوحيد وحقيقة دين الإسلام. (2)

يستتفاد من الآية :

- فيها : بطلان عبادة المشركين لغير الله بكون معبوديهم أنفسهم يطلبون القربى من الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه.

---

(1) انظر إعانة المستفيد 171/1 وانظر القول المفيد 144/1
(2) فتح المجيد ص 106

- وفيها: ضعف عقول المشركين وعدم تثبيتهم بالتعبير بالزعم.
- وفيها: صلاح المعبودين لا يبرر الشرك بهم.
- وفيها: إثبات صفة الرحمة لله عز وجل.
- وفيها: بيان لحال خاصة عباد الله.
- وفيها: أن هذا سبيل الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة.
- وفيها: أن من معنى لا إله إلا الله أن يصرف الدعاء والتقرب والعبادة لله سبحانه وتعالى لا تصرف لأحد من خلقه بحجة أنه واسطة بين العبد وبين ربه عز وجل لأن الله ليس بينه وبين عباده واسطة من هذا النوع.
- وفيها: الرد على الذين يدعون الأولياء والصالحين في كشف الضر أو جلب النفع بأن هؤلاء المدعوين لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا فكيف يملكون ذلك لغيرهم.
- وفيها: دليل على أن هناك من يعبد الصالحين.
- وفيها: أن كل معبود من دون الله لا ينفع عابده وأن كل معبود من دونه مفتقر إليه ومحتاج له جل وعلا.
- وفيها: بيان شدة خوف الأنبياء والصالحين من الله وبيان رجائهم لرحمته.
- وفيها: ينبغي على العبد أن يحذر ويخاف من وقوع عذاب الله.
- وفيها: الرد على من ادعى أن شرك المشركين إنما هو بعبادة الأصنام.
- وفيها: أن الله تعالى أنكر على من دعا معه غيره.
- وفيها: أن العبادة لا تتم للسالك إلا بالخوف والرجاء.

- وفيها: أن الخوف والرجاء والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هي الأصل والمادة في كل خير.
- وفيها : أنه ذكر الخوف بعد رجاء الرحمة للإشارة إلى أنهم في موقف الأدب مع ربهم فلا يزيدهم القرب من رضاه إلا إجلالا له وخوفا من غضبه.
- وفيها : تعريض بالمشركين الذين ركبوا رؤوسهم وتوغلوا في الغرور فزعموا أن شركاءهم شفعاؤهم عند الله.

فائدة :

ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: { أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى (23)} سورة النجم

شرح الآية :

الاستفهام : للاستخفاف والاستهجان بهذه الأصنام.

وكانت اللات لثقيف.

وقيل : بيت بنخلة كانت قريش تعبده.

والعزى لقريش وبنى كنانة.

ومناة لبنى هلال.

وقال ابن هشام : كانت لهذيل وخزاعة.

فأما اللات :

1. فقرأ الجمهور بتخفيف التاء.
2. وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحمدي وأبو صالح ورويس بتشديد التاء.

فعلى الأولى قال الأعمش : سموا اللات من الإله.

والعزى من العزيز.

قال ابن جرير : وكانوا قد اشتقوا اسمها من الله تعالى قالوا : اللات مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قال : وكذا العزى من العزيز.

وقال ابن كثير : اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت الطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تبعها يفتخرون به على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش قال ابن هشام : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار.

وعلى الثانية قال ابن عباس : كان رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره ذكره البخاري قال ابن عباس : كان يبيع السويق والسمن عند صخرة ويسلؤه عليها فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة إعظاما لصاحب السويق وعن مجاهد نحوه وقال : فلما مات عبدوه رواه سعيد بن منصور وكذا روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنهم عبدوه وبنحو هذا قال جماعة من أهل العلم

قلت : لا منافاة بين القولين فإنهم عبدوا الصخرة والقبر تأليها وتعظيمها.

ولمثل هذا بنيت المشاهد والقباب على القبور واتخذت أوثانا وفيه بيان أن أهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين والأصنام.

وأما العزى :

1. فقال ابن جرير : كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة . بين مكة والطائف . كانت قريش يعظمونها.
2. وقيل : هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني.

وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج.

وأصل اشتقاقها :

1. من اسم الله المنان.
2. وقيل : لكثرة ما يمنى أي يراق عندها من الدماء للتبرك بها

واختلف فيها عل أقوال :

✓ قال البخاري رحمه الله في حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها : إنها صنم بين مكة والمدينة قال ابن هشام : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فهدمها عام الفتح.

✓ وقيل : هي لخزاعة كانت بقديد.

وهو موضع بين مكة والمدينة وهو عبارة عن واد به قرى صغيرة لا يزال معروفا كان طريق المدينة إلى مكة يمر به وهي تبعد عن عسفان 23 ميلا وعن خليص 8.

✓ وقيل: بيت بالمشلل تعبده بنو كعب.

المشلل هو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر قبل قديد بثلاثة أميال وهو الموضع الذي كان عنده مناة الطاغية في الجاهلية.

✓ وقيل : مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة.

وقيل : اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها.

فمعنى الآية كما قال القرطبي : أن فيها حذفا تقديره : أفرأيتم هذه الآلهة أنفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله تعالى ؟ (1)

فائدة : يستفاد من الآية :

- وفيها : أن الاستفهام للتحقير وانحطاط رتبة هذه الأصنام.
- وفيها : أن عبادة المشركين لهذه الأوثان إنما كانت لطلب النفع ودفع الضر فكل

(1) انظر فتح المجيد ص 141-143

من تبرك بشجر أو قبر أو عبد أو غير ذلك قاصدا بذلك جلب النفع أو دفع الضرر فقد شابههم ودخل في شركهم.

- وفيها : أن التبرك بالأشجار والأحجار شرك.
- وفيها : وجوب إنكار المنكر.
- وفيها : بطلان عبادة الأوثان.
- وفيها : مشروعية مجادلة المشركين.
- وفيها : أن مناة دون اللات والعزى في المرتبة عند العرب.
- وفيها : الإشارة إلى أن التي تعظموها وتذبحون عندها وتكثر إراقة الدماء حولها أنها متأخرة أي : ذميمة حقيرة.
- وفيها : بيان عجز هذه الأصنام.
- وفيها : الرد على المشركين.
- وفيها : وجوب تنزيه الله عن البنين والبنات.
- وفيها : فساد الفطرة عند المشركين حيث أضافوا البنات إلى الله مع كراهيتهم لها وهم يزعمون مع ذلك أنهم متقربون إليه.
- وفيها : أن العبرة بحقيقة الأشياء لا بالأسماء.
- وفيها : أن الحكم لا يثبت إلا بدليل مما أنزل الله.
- وفيها : أن كل أمر ما أنزل الله به من سلطان فهو باطل فاسد.
- وفيها : تسميت الدليل سلطانا لأن صاحب الدليل معه سلطة يعلو بها على خصمه ومن ليس له دليل ليس له سلطان.
- وفيها : أن المشركين ليس لهم مستند في شركهم لا من عقل صحيح ولا نقل عن الرسل وإنما اعتمدوا على ظنون كاذبة وآراء كاسدة وعقول فاسدة.

- وفيها : بيان أن المشركين في كل زمان ومكان ما يتبعون في عبادة غير الله إلا أهواءهم.
- وفيها : أن الله أقام الحجة بإرسال الرسل.
- وفيها : أن الأصل اتباع الدليل ونبذ التقليد.
- وفيها : إبطال التقليد في العقائد والأصول.
- وفيها : أن الظن لا يغني في إثبات أصول الاعتقاد.
- وفيها : بيان أن الدين جاء بالحق المنير والحجة القاطعة.
- وفيها : أن العبادة لا تصلح لها وإنما تصلح لله عز وجل.
- وفيها: التعجيب من تصاممهم عن سماع الهدى مع أنه ممن تجب طاعته.
- وفيها : أن ضلالهم مخلوط بالعصيان والتمرد على خالقهم.

فائدة : شرح الحديث :

عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى { اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138)}

لتركبن سنن من كان قبلكم... رواه الترمذي وصححه

شرح الحديث : قوله : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ....

أي: بعد غزوة الفتح لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة تجمعت له ثقيف وهوازن بجمع عظيم كثير جدا. (1)

إلى حنين....

حنين : اسم واد بشرقي مكة معروف.

قيل : سميت بذلك بحنين بن قانية بن مهلائيل من العماليق كان ينزلها.

ونحن حدثاء عهد بكفر.....

أي قريب عهدنا بالكفر وإنما ذكر ذلك رضي الله عنه للاعتذار لطلبهم وسؤالهم ولو وقر الإيمان في قلوبهم لم يسألوا هذا السؤال. (2)

وللمشركين سدرة .....

السدرة شجرة النبق والغالب عليها أن تكون ناعمة وتسمى ضالة أيضا بتخفيف اللام إذا كانت بعيدة عن الماء وهي ذات شوك وما لا شوك فيه يسمى العُبرى.

يعكفون عندها....

العكوف هو الإقامة على الشيء في المكان ومنه قول الخليل عليه السلام :**{ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) }** سورة الأنبياء

(1) انظر القول المفيد 201/1
(2) انظر القول المفيد 202/1

وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركا بها وتعظيما لها وفي حديث عمرو كان يناط بها السلاح فسميت ذات أنواط وكانت تعبد من دون الله.

وينوطون بها أسلحتهم......

أي يعلقونها عليها للبركة.

ففي هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها. [1]

والتبرك قسمان :

- اعتقاد القاصد أن هذا أن المتبرك به يملك البركة فهو الذي يعطيها ويمنعها فهذا شرك أكبر في الربوبية والعبادة وذلك :
  - كونه في الربوبية لأنه اعتقد أنه متصرفا مع الله فالبركة من الله.
  - ومن حيث أنه شرك في العبادة فلأن المتبرك يتذلل له ويخضع له ويخشع له.
- اعتقاد المتبرك أن هذا المقصود سبب فقط والبركة من الله فهذا محرم وهو من وسائل الشرك الأكبر ولهذا يعهده العلماء في الشرك الأصغر. [2]

فقلنا : يا رسول الله اجعل ....

الجعل قسمان :

1. جعل شرعي : { **جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ**.... (**97**) } سورة المائدة
2. جعل قدري { **وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ... (**189**) } سورة الأعراف

وفي هذا الحديث جعل شرعي.

لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.....

قال أبو السعادات : سألوه أن يجعل لهم مثلها فنهاهم عن ذلك وأنواط جمع نوط وهو مصدر سمى بها المنوط ظنوا أن هذا أمر محبوب عند الله وقصدوا التقرب به وإلا

(1) انظر فتح المجيد ص 145
(2) البيان المرصع شرح القواعد الأربع ص 50-51

فهم أجل قدرا من أن يقصدوا مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم. [1]

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر.....

وفي رواية سبحان الله والمراد تعظيم الله تعالى وتنزيه عن هذا الشرك بأي نوع كان مما لا يجوز أن يطلب أو يقصد به غير الله وكان النبي صلى الله عليه و سلم يستعمل التكبير والتسبيح في حال التعجب تعظيما لله وتنزيها له إذا سمع من أحد ما لا يليق بالله مما فيه هضم للربوبية أو الإلهية. [2]

إنها السنن بضم السين.... أي الطرق.

كما قالت بنو إسرائيل لموسى { اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ }

شبه مقالتهم هذه بقول بني إسرائيل بجامع أن كلا طلب أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله وإن اختلف اللفظان فالمعنى واحد فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة.

لتركبن سنن من كان قبلكم....

بضم الموحدة وضم السين أي طرقهم ومناهجهم وقد يجوز فتح السين على الإفراد أي طريقهم وهذا خبر صحيح والواقع من كثير من هذه الأمة يشهد له.

وهذه الجملة لا يراد بها الإقرار وإنما يراد بها التحذير لأنه من المعلوم أن سنن من كان قبلنا مما جرى تشبيهه سنن ضالة حيث طلبوا آلهة مع الله فأراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يحذر أمته أن تركب سنن من كان قبلها من الضلال والغي. [3]

فائدة : يستفاد من الحديث :

- سرعة رجوع الشرك في بني آدم لذا وجب كثرة التذكير به تحذيرا من شره وخطره.
- وفيه : الرد من يقول : إنا عرفنا التوحيد ولسنا في حاجة إليه.
- وفيه : إذا كان التبس على بعض الصحابة بين صور الشرك الأكبر ورسول الله

---

(1) انظر فتح المجيد ص 145
(2) انظر فتح المجيد ص 145-146
(3) انظر القول المفيد 203/1

صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم فغيرهم من باب أولى.

- وفيه : دليل على أن غيرهم ممن تقدم إسلامه من الصحابة لا يجهل هذا.
- وفيه : أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قبله لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة ذكره المصنف رحمه الله.
- وفيه : أنه ينبغي للإنسان أن يقدم العذر عن قوله أو فعله حتى لا يعرض نفسه إلى الطعن فيه.
- وفيه : دليل على آفة الجهل وأن الإنسان قد يقع في الشرك بسبب الجهل.
- وفيه : الحث على تعلم العقيدة ومعرفتها والتبصر فيها خشية أن يقع الإنسان في مثل ما وقع فيه هؤلاء.
- وفيه : صعوبة انتزاع العادات من نفوس البشر.
- وفيه : سرعة قبول النفس للباطل.
- وفيه : أن الإنسان قد يقع في الشرك مع وجود الأسباب المانعة بين يديه.
- وفيه : أنه قد يشرك بكلمة.
- وفيه : بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها.
- وفيه : أن الإنسان قد يقع في الحرام دون أن يشعر.
- وفيه : أنه لا تنفع النية الطيبة إذا كان الأمر محرما أو أن حسن المقاصد لا يغير من الحكم الشرعي شيئا.
- وفيه : أن لا ينفع التقرب إلى الله إلا بما شرعه.
- وفيه : أن التبرك بالأشجار ممنوع.
- وفيه : أنهم قصدوا التبرك بها لا عبادتها.

- وفيه : عدم الاغترار بما يفعله الناس.
- وفيه : أن العبرة بما دل عليه الشرع لا ما يفعله الناس.
- وفيه : أدب الصحابة مع الرسول صلى الله عليه وسلم حيث لم يقدموا إلى هذا الأمر من عند أنفسهم بل رجعوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.
- وفيه : أنه ينبغي على المسلم إذا أعجبه شيء ويظن أنه خير فلا يستعجل حتى يعرض هذا على الكتاب والسنة ويسأل عنه أهل العلم الثقات.
- وفيه : دليل على وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة في أمور العبادة.
- وفيه : أن الإنسان لا يعمل باستحساناته أو استحسانات غيره.
- وفيه : أن العبادات توقيفية.
- وفيه : أن الوسائل التي تفضي إلى المحاذير ممنوعة.
- فيه : مشروعية التكبير عند رؤية ما يتعجب منه.
- وفيه : الغضب عند التعليم وإن ما ذم الله به اليهود والنصارى فإنه قال لنا لنحذره.
- وفيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعذرهم بل رد عليهم.
- وفيه : وجوب إنكار المنكر.
- وفيه : أن البيان لا يتأخر عن وقت الحاجة بل يصبح واجبا.
- وفيه : سد الذرائع.
- وفيه : جواز الحلف على الفتيا.
- وفيه : جواز الحلف بدون استحلاف.
- وفيه : أن الحلف لا يكون إلا لمصلحة أو دفع مضرة.
- وفيه : الخوف من الشرك.

- وفيه : أن الشرك أصغر وأكبر لأنهم لم يرتدوا بذلك.
- وفيه : أن الإنسان قد يستحسن شيئا يظن أنه يقربه إلى الله وهو أبعد ما يبعده من رحمته ويقرب من سخطه ولا يعرف هذا على الحقيقة إلى من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير من العلماء والعباد مع أرباب القبور من الغلو فيها وصرف جل العبادة لها ويحسبون أنهم على شيء وهو الذنب الذي لا يغفره الله.
- وفيه : أن تغيير الاسم لا يغير الحقيقة فالاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء.
- وفيه : أن الشرك منه ما هو خفي لا يعرفه عامة الناس.
- وفيه : وجوب التخويف من المنكر لأن النبي صلى الله عليه وسلم غلظ عليهم وذكر أن مقالتهم تشبه مقالة بني إسرائيل.
- وفيه : جواز القياس لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاس مقالتهم بمقالة بني إسرائيل.
- وفيه : أن نفي هذا من معنى لا إله إلا الله.
- وفيه : أن من تبرك بشجر أو حجر فقد اتخذه إلها.
- وفيه : علم من أعلام النبوة من حيث إنه وقع كما أخبر به صلى الله عليه وسلم.
- وفيه : النهي عن التشبه بأهل الجاهلية وأهل الكتاب فيما كانوا يفعلونه إلا ما دل الدليل على أنه من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم.
- وفيه : أن الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمة خلافا لمن ادعى خلاف ذلك.

القاعدة الرابعة : أن مشركي زماننا أغلظ شركا من الأولين لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة ومشركو زماننا شركهم دائما في الرخاء والشدة.

والدليل قوله تعالى : {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}

تمت وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

فائدة : الغرض من إيراد القاعدة :

- بيان حال مشركي زماننا وأنهم أغلظ شركا من الأوائل في أعظم أبواب العبادة وهو باب الدعاء.
- بيان أن الشرك بعضه أغلظ من بعض وبعضه أقبح من بعض.
- بيان أن الكفار يتفاوتون في كفرهم وشركهم.
- بيان أن الشرك لا يشترط في القلة ولا الكثرة حتى يكون شركا ولا يشترط في المشرك حتى يكون مشركا أن يشرك أكثر زمانه أو غالب زمانه.

فائدة : ذكر الشيخ وجه كون شرك المتأخرين أغلظ من شرك الأولين :

- أن الأولين لا يشركون إلا في حال الرخاء أما المشركون المتأخرون فيشركون في الرخاء والشدة.

ويمكن إضافة أوجه :

- أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله إما أنبياء أو أولياء أو ملائكة أو يدعون أشجارا وأحجارا مطيعة لله ليست عاصية أما المشركون المتأخرون فإنهم يلتجئون إلى ما سبق وإلى أهل الفسق والفجور ويزعمون أن ما يفعلونه من الزنا وشرب الخمر وترك الصلاة وغيرها إنما هي لرفع التكاليف عنهم أو لأمر لا يعرفه إلا خواصهم.

- أن غالب المشركين الأولين كانوا يتوجهون إلى معبوداتهم بقصد طلب الشفاعة والقربة بدون اعتقاد أنها تأثر بذاتها.

أما المتأخرون فإنهم جمعوا بين طلب الشفاعة والقربة واعتقاد التأثير في ذلك لذلك تجدهم يطلبون منهم الولد والمال وتفريج الكربات وغيرها.

- أن المشركين الأولين شركهم كان في الألوهية وأما المتأخرون فشركهم في الربوبية والألوهية معا.
- أن المشركين الأولين يعتقدون أن ما هم عليه مخالف دعوة الأنبياء والرسل فإنهم قالوا : { **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** (5) } سورة ص

أما المتأخرون فإنهم يدعون أن فعلهم موافق دعوة الأنبياء والرسل.

- أن المشركين الأولين كانوا لا يشركون بالله في شيء من الملك والتصرف الكلي العام بل كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.

أما المتأخرون فجعلوا لمن يعظمونه ملكا وتصرفا في الكون وقصدوهم على أن لهم تدبير العالم وما يجري فيه وهذا شرك لم تعرفه الجاهلية الأولى. ذكر معنى هذا الوجه عبد الله بن فيصل ابن سعود.

- أن المتأخرين يزعمون أن قصد الصالحين ودعاءهم والتوجه إليهم من حقهم وأن تركه جفاء لهم وإزراء بهم ولم يكن الأولون يذكرون هذا .
- أن المشركين الأولين كانوا مقريين بشركهم كما في تلبيتهم المذكورة آنفا ويسمون رغبتهم إلى معظميهم عبادة.

أما المتأخرون فيزعمون أنهم بربهم لا يشركون ويسمون رغبتهم إلى معظميهم محبة وهم في زعمهم كاذبون.

- أن المشركين الأولين كانوا يرجون آلتهم في قضاء حوائج الدنيا فقط كرد غائب ووجدان مفقود ولا يجعلونهم عدة ليوم الدين لإنكارهم البعث أو اعتقادهم أن لهم عند الله بعد البعث مالا وولدا لحظوتهم عنده.
- أن المشركين الأولين كانوا يعظمون الله وشعائره فكانوا يعظمون اليمين بالله ويعذون من عاذ بالله وببيته ويعتقدون أن البيت الحرام أعظم من بيوت أصنامهم.

أما المتأخرون فإن أحدهم يقسم بالله صادقا وكاذبا ولا يقدم على القسم بمن يعتقد فيه من المعظمين كاذبا ولا يعيذون من عاذ بالله وببيته ويعيذون من عاذ بمعظمهم أو بتربته ويعتقدون أن العكوف عند المشاهد أعظم من العكوف في المساجد وأكثرهم يرى أن الاستغاثة بإلهه الذي يعبده عند قبره أنفع وأنجح من الاستغاثة بالله في المسجد.

- أن المشركين الأولين لم يكونوا يطلبون من آلهتهم كل ما يطلبونه من الرحمن فلهم ما يطلبونه من آلهتهم ولهم مطالب لا يطلبونها إلا من الله تعظيما لله سبحانه وتعالى فيجعلون الأعلى مطلوبا من الله.

أما المتأخرون فيطلبون من آلهتهم ما لا يطلبونه من الله فيجعلون المطالب العظمى من مألوهاتهم ولا يطلبونها من الله. ذكره ابن تيمية الحفيد.

- أن في متأخري المشركين من زعم أن الله يتجلى في صور معبوداته من المخلوقات فهو يعبدهم لأن الله يتجلى فيهم.

ولم يكن أحد من المشركين الأولين يعتقد أن الله يتجلى في صورة غيره من المخلوقات.

ذكر معناه ابن تيمية الحفيد أيضا نقله عنه صاحبه ابن القيم في روضة المحبين. (1)

فائدة : تنبيه : ليس مراد الشيخ أن ما كان عليه كفار قريش في الجملة أهون مما عليه المتأخرون بل مراده ما كان في شرك الدعاء أما من حيث العموم فكفار قريش أسوء

(1) انظر شرح القواعد للعصيمي 30-34

حالا من المتأخرين وذلك من وجوه :

- أن كفار قريش استكبروا عن قول لا إله إلا الله أما المتأخرون فقالوها وخالفوها ومعلوم أن الجاهل أخف جرما من المعاند.

قال تعالى : { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35) }سورة الصافات

- كفار قريش كذبوا بالقرآن وكفروا به بل واستهزأوا به.

أما المتأخرون فآمنوا به وصدقوه بزعمهم وإن كانوا خالفوه في التطبيق.

- أن كفار قريش كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ونسبوه إلى الجنون والسحر والشعوذة قال تعالى:{ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (36) } الصافات

وقال تعالى : { فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ (29) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (30) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (32) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ (33) } سورة الطور

أما المتأخرون فادعوا محبته ونصرته حتى خرجوا بها إلى مقام العبودية.

- أن كفار قريش أنكروا البعث وقدرة الله على إحياء الموتى.

قال تعالى : { وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29) } سورة الأنعام

أما المتأخرون فأقروا بذلك.

أما من حيث الأعيان فقد وجد من هو أشد وأعظم شركا من الأولين فالمطلع على حال الروافض وغلاة الصوفية يدرك صحة هذا الكلام.

فائدة : شرح : قوله تعالى : { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (65) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (66) } سورة العنكبوت

قوله تعالى: {فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ} يعني السفن وخافوا الغرق.

{دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} أي صادقين في نياتهم وتركوا عبادة الأصنام ودعاءها. {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ}

أي يدعون معه غيره وما ينزل به سلطانا.

وقيل: إشراكهم أن يقول قائلهم لولا الله والرئيس أو الملاح لغرقنا فيجعلون ما فعل الله لهم من النجاة قسمة بين الله وبين خلقه.

قوله تعالى: {لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا}

قيل : هما لام كي أي لكي يكفروا ولكي يتمتعوا.

وقيل :" **إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**" ليكون ثمرة شركهم أن يجحدوا نعم الله ويتمتعوا بالدنيا.

وقيل : هما لام أمر معناه التهديد والوعيد. أي أكفروا بما أعطيناكم من النعمة والنجاة من البحر وتمتعوا.

ودليل هذا قراءة أبي" وتمتعوا" ابن الأنباري: ويقوي هذا قراءة الأعمش ونافع وحمزة:" وليتمتعوا" بجزم اللام. النحاس : " **وَلِيَتَمَتَّعُوا**" لام كي ويجوز أن تكون لام أمر لأن أصل لام الأمر الكسر إلا أنه أمر فيه معنى التهديد.

ومن قرأ:" وليتمتعوا" بإسكان اللام لم يجعلها لام كي لأن لام كي لا يجوز إسكانها وهي قراءة ابن كثير والمسيبي وقالون عن نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم الباقون بكسر اللام.

وقرا أبو العالية:" ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون" تهديد ووعيد. (1)

وقال السعدي : ثم ألزم تعالى المشركين بإخلاصهم لله تعالى، في حالة الشدة عند ركوب البحر وتلاطم أمواجه وخوفهم الهلاك يتركون إذا أندادهم ويخلصون الدعاء لله وحده لا شريك له فلما زالت عنهم الشدة ونجى من أخلصوا له الدعاء إلى البر أشركوا به من لا نجاهم من شدة ولا أزال عنهم مشقة.

فهلا أخلصوا لله الدعاء في حال الرخاء والشدة واليسر والعسر ليكونوا مؤمنين به حقا مستحقين ثوابه مندفعا عنهم عقابه.

(1) انظر تفسير القرطبي 363/13

ولكن شركهم هذا بعد نعمتنا عليهم بالنجاة من البحر ليكون عاقبته كفر ما آتيناهم ومقابلة النعمة بالإساءة وليكملوا تمتعهم في الدنيا الذي هو كتمتع الأنعام ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم.

{ **فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** } حين ينتقلون من الدنيا إلى الآخرة شدة الأسف وأليم العقوبة. [1]

وقال الطاهر ابن عاشور :

أفادت الفاء تفريع ما بعدها على ما قبلها والمفرع عليه محذوف ليس هو واحدا من الأخبار المتقدمة بخصوصه ولكنه مجموع ما تدل عليه قوة الحديث عنهم وما تقتضيه الفاء.

والتقدير: هم أي المشركون على ما وصفوا به من الغفلة عن دلائل الوحدانية وإلغائهم ما في أحوالهم من دلائل الاعتراف لله بها لا يضرعون إلا إلى الله فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله، فضمائر جمع الغائبين عائدة إلى المشركين.

وهذا انتقال إلى إلزامهم بما يقتضيه دعاؤهم حين لا يشركون فيه إلها آخر مع الله بعد إلزامهم بموجبات اعترافاتهم فإنهم يدعون أصنامهم في شؤون من أحوالهم ويستنصرونهم ولكنهم إذا أصابهم هول توجهوا بتضرعهم إلى الله.

وإنما خص بالذكر حال خوفهم من هول البحر في هذه الآية وفي آيات كثيرة مثل ما في سورة يونس وما في سورة الإسراء لأن أسفارهم في البر كانوا لا يعتريهم فيها خوف يعم جميع السفر لأنهم كانوا يسافرون قوافل معهم سلاحهم ويمرون بسبل يألفونها فلا يعترضهم خوف عام فأما سفرهم في البحر فإنهم يفرقون من هوله ولا يدفعه عنهم وفرة عدد ولا قوة عدد فهم يضرعون إلى الله بطلب النجاة ولعلهم لا يدعون أصنامهم حينئذ. فأما تسخير المخلوقات فما كانوا يطمعون به إلا من الله تعالى، وأيضا كان يخامرهم الخوف عند ركوبهم في البحر لقلة إلفهم بركوبه إذ كان معظم أسفارهم في البراري.

(1) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 635-636

وقد تقدم تعدية الركوب بحرف (في) عند قوله **{وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا}** في سورة هود

والإخلاص : التمحيض والإفراد.

والدين : المعاملة. والمراد به هنا الدعاء أي دعوا الله غير مشركين معه أصنامهم.

ويفسر ذلك قوله **{فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}** .

فجيء بحرف المفاجأة للدلالة على أنهم ابتدروا إلى الإشراك في حين حصولهم في البر أي أسرعوا إلى ما اعتادوه من زيارة أصنامهم والذبح لها.

والمفاجأة عرفية بحسب ما يقتضيه الإرساء في البر والوصول إلى مواطنهم فكانوا يبادرون بإطعام الطعام عند الرجوع من السفر.

واللام في **{لِيَكْفُرُوا}** لام التعليل وهي لام كي وهي متعلقة بفعل **{يُشْرِكُونَ}** .

والكفر هنا ليس هو الشرك ولكنه كفران النعمة بقرينة قوله **{بِمَا آتَيْنَاهُمْ}** فإن الإيتاء بمعنى الإنعام وبقرينة تفريعه على **{يُشْرِكُونَ}** فالعلة مغايرة للمعلول وكفران النعمة مسبب عن الإشراك لأنهم لما بادروا إلى شؤون الإشراك فقد أخذوا يكفرون النعمة فاللام استعارة تبعية شبه المسبب بالعلة الباعثة فاستعير له حرف التعليل عوضا عن فاء التفريع.

وأما اللام في قوله **{وَلِيَتَمَتَّعُوا}** بكسر اللام على أنها لام التعليل في قراءة ورش عن نافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وأبي جعفر ويعقوب.

وقرأه قالون عن نافع وابن كثير وحمزة والكسائي وخلف بسكونها فهي لام الأمر وهي بعد حرف العطف تسكن وتكسر وعليه فالأمر مستعمل في التهديد نظير قوله {**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**} سورة فصلت

وهو عطف جملة التهديد على جملة **{فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ}** الخ...

نظير قوله في سورة الروم : **{لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}** .

والتمتع : الانتفاع القصير زمنه.

وجملة {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} تفريع على التهديد بالوعيد. [1]

(1) انظر التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور 20/203-204

الفهرس :